من الحراك السلمي في السويداء

ضوء لنا

شهرية مستقلة تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

كانون ثاني 2015 العدد (17)

4 «مشايخ الكرامة» يزيلون حاجز للمخابرات الجوية في السويداء

6 تشكيل «الجيش الأول» في درعا والسيطرة على اللواء ٨٢

21 الحقوق في الدولة الحديثة حيث لا حق للقوة

ملف العدد: الآثار السورية في ظل الحرب ج٢ تحقيق:

10 آثار السويداء حقيقة تقارب الخيال

13 تاريخ سوريا في أيدي اللصوص

مدرج بصرى - درعا

لسنا منبراً لأحد.. لسنا ملكاً لأحد..نسعى لكي نكون أحد أصوات العقل والتوازن في سوريا الجديدة

www.dawdaa.com | dawdaa.syria@gmail.com | www.facebook.com/dawdaanewspaper

أخبار المحليات

«مشايخ الكرامة» يزيلون حاجز للمخابرات الجوية في السويداء

تشكيل «الجيش الأول» في درعا
والسيطرة على اللواء 28

رأي

حماية التراث الثقافي أثناء الصراعات: المهمة الصعبة لليونسكو ترجمة زويا منصور

متحف معرة النعمان.. محاولات لإصلاح ما أفسدته الحرب نور مارتيني

الحقوق في الدولة الحديثة حيث لا حق للقوة سحر حويجة

التقسيم الدولي للعمل ونظرية المزايا النسبية في الإنتاج أحمد إلياس

مآسي السوريين بعدسة تركية مقداد خليل

أوهام المراهنة على دور مصري روسي في حلّ المسألة السورية جبر الشوفي

تحقيق

آثار السويداء حقيقة تقارب الخيال يوسف شيخو

تاريخ سوريا في أيدي اللصوص محمود أحمد

حملة «طفلة لا زوجة»
سوريون يواجهون ظاهرة تزويج القاصرات في ظل الحرب مجيد محمد

ادب

- ساعات الليل
- تبدو ثقيلة جدا

نصان قصصيان - مهند الخالد
من مجموعته القصصية «ساعات الليل»

رئيس التحرير
محمد ملاك

مدير التحرير
هالة درويش

سكرتير تحرير
زويا منصور

الأخبار المحلية بالتعاون مع مركز
سويدا خبر الإعلامي في المنطقة
الجنوبية

ضوء لنا
www.dawdaa.com
dawdaa.syria@gmail.com
www.facebook.com/dawdaanewspaper

المركز السوري للصحافة و النشر
Syrian Center For Press & Publishing

صدر العدد الحادي عشر من مجلة سيدة سوريا
سيدة سوريا شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر
www.saiedetsouria.com

افتتاحية

بالقادمين الجدد هل من أمل للسوريين

في ٢٠١٤ عندما أصبح هادي البحرة رئيساً للائتلاف، طلب التقاء الناشطين والاعلاميين، وهي حركة يقوم بها، كل رئيس جديد، كونها أفضل الطرق ليعرّف الناس بنفسه، وأنه حقيقة، لا شخصية انبثقت من فراغ عدم وجود فعل في هذا الظرف الذي تعبره الحال السورية، وكان أوضح ما قال في ذلك اليوم الذي التفّ به على أسئلة الناشطين، إن لديه استراتيجية لم يفصح حينها عنها، إضافة إلى خطة تقوم على وهم، وربما كذبة إدخال الحكومة والائتلاف إلى الداخل السوري، كي لا تبقى الحكومة حكومة منفى والائتلاف منفياً (حسب قوله).

أستمع اليوم إلى تسجيلات تلك الجلسة، كمُّ الأسئلة التي قفز عنها، كم الادعاءات التي قيلت عن الخطة غير الهامة وغير الواقعية، حول إدخال الحكومة والائتلاف إلى الداخل السوري المحرر، وأذكر اليوم كما يذكر العديدون، افتتاح مؤتمر "التشبيك" بين الداخل والخارج، والساعات التي أضعناها متفرجين، مستمعين إلى عرض يشرحه "هادي" حول خطة الدخول وملحقاتها.

ثم مستمعين إليه ساعات قضاها يجيب هذه المرة على عشرات الأسئلة، بإسهاب وبقين من لا يعرف شيئاً عن الواقعية والتحليل والاستقراء، التقيتُ فايز ساره بعد ذلك بأيام، وكان يطرح نفس الخطة، لكن بحماس وبقين أكثر، حتى قال إن كل عضو في الائتلاف لن يدخل إلى الداخل سيفصل من الائتلاف.

في الحقيقة، لم يكن لدى الفريق الذي انشغل طوال الفترة بالحروب الداخلية لتحصيل نفوذ شخصي، وان حاول إثبات غير ذلك، من إقالة الحكومة، إلى إبقائها طوال الوقت حكومة تسيير أعمال، إلى حل المجلس العسكري، وإعادة تشكيله، بحثاً عن ولاءات جديدة، إلى حروب إصدار القرارات وإلغائها، إلى صناعة مراكز قوى جديدة، شاملاً طبعاً تدمير التحالفات السابقة، متضمنة بيع الأصدقاء وشركاء التاريخ والنضال القديم.

فترة لا ينطبق عليها إلا وصف الخواء، الفراغ، الهدر، الخسارات المتلاحقة، فعلى الصعيد السياسي، تداعت الأمور حتى وصلنا إلى مبادرة الروس، واستراتيجية قصف قوات التحالف التي تظهر كأنها شريكة لنظام الأسد، ذلك باعتراف "فورد" خبير الملف السوري نفسه.

وصولاً إلى مؤتمر القاهرة والذي حضره أعضاء ائتلاف لم يدخلوا إلى الداخل السوري حتى الآن، مؤتمر القاهرة الذي خرج ببيانه علينا، دون ذكرٍ لإسقاط نظام بشار الأسد، وخلو المشهد السياسي المستقبل لسوريا القادمة منه.

وفي الداخل، بدل أن تدخل الحكومة والائتلاف، خرجت معظم القوى الليبرالية، والتي كانت أمان الثورة وعدتها، وخسرت ريف إدلب، وكثيراً من ريف حلب، وبات بعض قادتها، يقتلون ويتم اغتيالهم حتى في الأراضي التركية، آلاف القتلى، عشرات آلاف الجرحى، معارضة سياسية مقسمة معاقة، إضرابات في مخيمات اللجوء بسبب موت الناس تحت العواصف الثلجية، انشغال أصدقاء الثورة القدامى بالإرهاب، وجعل الثورة عاشراً في اهتماماتهم، حتى أن بعضهم وصل حد التنسيق مع نظام الأسد لمحاربة الإرهاب.

هذه حصيلة الفترة التي بدأت برئاسة هادي البحرة للائتلاف مكان أحمد الجربا، وفايز ساره للكتلة الديمقراطية مكان ميشيل كيلو، وانشقاق الكتلة عن نفسها، وصدام الأصدقاء القدامى بتأثير المصالح والمال الموبوء، والرشاوي، والأمجاد الشخصية، والمشاريع الخاصة التي تبدأ بالمقاهي ولا تنتهي بوكالات الأنباء.

في الجهة الأخرى، يقابل هذه المراوحة، بل التأخر، حالة انتقال وتدهور سريع في الظرف السوري.

ويعمل أعداء الثورة مسرعين ضمن استراتيجية واضحة، وكما تقع خسارة الليبراليين الأرض في الشمال أمام الراديكاليين من كل الأصناف، بما في ذلك سجن القوى والأصوات المدنية، من إعلاميين وناشطين سلميين وحقوقيين، تعمل قوى القتل والقمع لدى نظام آل الأسد مدعومة بميليشيات حزب الله، وحرس الثورة الإيرانية، وميليشيات عراقية وأفغانية، على إتمام المهمة في الجنوب، وتعد العدة بالالاف، حتى أن الحديث يكثر عن قيام قاسم سليمان قائد (لواء القدس)، بقيادة المعركة بنفسه، والهدف بسيط محدد مباشر . القضاء على الجيش الحر في المنطقة الجنوبية، درعا والقنيطرة، وإفساح المجال لانتشار فصائل وقوى متشددة.

حيث يعلم النظام ومن يدير خططه من إيرانيين وطائفيين لبنانيين، أن الجيش الحر في درعا والمنطقة الجنوبية، لا يزال شوكة في حلوقهم، لا يزال مثالاً على أمان الثورة السورية، مدنيّتها، قيمها الإنسانية التحررية، إنسانيتها، ووطنيتها.

إذاً ليس هدف نظام آل الأسد وأحلافهم، بسط نفوذٍ على الأرض، فهم عاجزون عن قطع الطريق التي تفصلهم عن "جوبر، وعين ترما، وبيت سحم" في غوطة دمشق منذ أكثر من عام.

لكنهم يعلمون أنه بمجرد القضاء على الجيش الحر، الذي لا يزال القوة الممثلة للثورة في الجنوب، وإفساحهم المجال لنمو وتضخم الفصائل المتشددة والمتطرفة، سيوجّهون الضربة القاضية للثورة السورية.

وللتأكد من ذلك، نحتاج لإطلالة على الأخبار المسرعة في كل وسائل الإعلام العالمية، لنجد:

طيران التحالف الدولي يشن غارات على داعش في العراق ويقتل عشرات المتطرفين، قتلى من المتطرفين قرب كوباني بغارة لطيران التحالف الدولي، مقتل متطرفين لداعش باشتباكات مع قوات الحشد الشعبي في العراق، نقرأ ذلك ونسمعه في (CNN والعربية والجزيرة وBBC وغيرها)، فيما تحرق قوات الحشد الشعبي بيوت العراقيين.

طيران التحالف يقصف موقعاً لمتطرفي النصرة في ريف إدلب ويقتل العديد منهم، الجيش اللبناني يطلق أكثر من خمسين صاروخاً على مواقع للمتطرفين في جرود عرسال نجد ذلك في (CNN، BBC، France24 . ومحطات لبنانية) وتأخذ عنها محطات العالم.

طيران الجيش العربي السوري الباسل يقصف أوكار المتطرفين ويقتل العشرات في الغوطة الشرقية (إعلام النظام وإيران وروسيا وحزب الله)، ويصدقهم كل العالم.

هذا ما تنقله وتعممه الفضائيات اليوم، إنها المفردة السحرية التي تسمح بقتل السوريين، واستخدام كل سلاح ممكن ضدهم، ويعمل نظام آل الأسد وأحلافهم، أنهم بمجرد القضاء على الجيش الحر، والبقية الباقية من مدنية الثورة السورية، فإنهم يضعون الثورة السورية في مواجهة كل سلاح في الكون بذريعة الإرهاب والتطرف.

لدينا الكثير من الثقة برجال الجيش الحر، وبكل من يعمل لسوريا قادمة مدنية، أنهم سيصمدون وأنهم سينتصرون بمشروعهم الوطني على نظام القتل، والاحتلال الإيراني، وميليشيات نصر الله الطائفية، وأنهم واعون للخطورة التي يغفل عنها ويهملها، أصحاب المصالح الشخصية، المتشبثون بالمناصب أسوةً بآل الأسد.

على رئيس الائتلاف الجديد خالد خوجة وفريقه اليوم، العمل على ردم الهوة بين السوريين وبين الائتلاف، بين الثورة وبين المعارضة السياسية، استعادة ثقة الناس التي خسرها مَنْ قبلُه، إيقاف ما تهدره الخلافات الشخصية بين الكتل والأشخاص، إيقاف هذا التسلط من عجائز الائتلاف، الذين اجتمعوا من منافيهم وانشغالهم في كل بقاع العالم، على (كعكة الثورة) كأنها حفلة، الذين سدوا منافذ الثورة، أفاقها، مجال تنفسها، بخذلان السوريين والكذب عليهم، بخلافاتهم التي أقرفت الناس في الصحف، والفضائيات، والمؤتمرات، ومنابر الكلام.

لدى السوريين دائماً، بعض أمل يخبئونه للقادمين الجدد، وبقية ثقةٍ يمنحونها فرصةً للعمل وإصلاح الخلل.

رئيس التحرير

أخبار

«مشايخ الكرامة» يزيلون حاجز للمخابرات الجوية في السويداء

تقرير: فريق تحرير ضوضاء

اقتحم عدد من «مشايخ الكرامة» وشباب من بلدة المزرعة صباح الخميس 22 كانون الثاني ، حاجز المخابرات الجوية عند مدخل مدينة السويداء الغربي (طريق ولغا – مفرق الحج) ، وأزالوا أبنيته وطردوا عناصر قوات النظام ، على خلفية اعتداء عناصر الحاجز المذكور على باص نقل ركاب من بلدة المزرعة في اليوم السابق.

ونقل مراسل «سويدا خبر» عن شاهد عيان ، أنّ عدداً من «مشايخ الكرامة» اجتمعوا في بلدة المزرعة ، وتواصلوا مع «اللجنة الأمنية في السويداء» ، مطالبين بإزالة الحاجز ومحاسبة عناصره خلال 24 ساعة ، مهددين بـ«الرد بقسوة» ما لم تنفذ مطالبهم ، قبل أن يهاجموا الحاجز بعد نهاية المدة ويزيلوا كل أبنيته ويطردوا عناصره.

يأتي ذلك بعد اعتداء عناصر الحاجز على باص نقل ركاب ، كان متجهاً من بلدة المزرعة إلى مدينة السويداء ، حيث أطلق العناصر النار في الهواء وشتموا الركاب وهاجموا الباص وكسروا نافذة ، وتعرض أحد الركاب(المهندس غسان الخطيب) لنوبة قلبية إثر الحادثة ، ونقل إلى المستشفى.

وأوضح مصدر لـ«سويدا خبر» أنّ المشكلة وقعت عند مطالبة عناصر الحاجز بإنزال شاب من الباص ، بحجة أنه مطلوب للخدمة الإلزامية ، واعتراض الركاب على الطلب ، كما منعوا العناصر من اعتقال الشاب ، ما دفع قائد الحاجز (وهو ضابط برتبة ملازم أول) إلى مهاجمة الباص وكسر نافذته ، ومن جانبه انطلق السائق بالباص في محاولة للابتعاد عن الحاجز ، في حين أطلق العناصر النار باتجاه الباص.

وأسفرت الحادثة عن حالة من الغضب في صفوف أهالي المزرعة ، الذين حاصروا المخفر ومفرزة الأمن في البلدة ، وطالبوا أيضاً بإزالة الحاجز ، الذي يرتكب مختلف التجاوزات بحق المدنيين ، بينها «التعرض للأهالي بالشتم والإهانة والمعاملة السيئة ، إضافة إلى السرقة من السيارات المارة عبره ، سواء كانت لهم أو للوافدين إلى المحافظة من محافظات أخرى» ، على حد تعبيرهم.

يذكر أنّ باصات نقل الركاب في بلدة المزرعة نفذت إضراباً عن العمل قبل الحادثة بأيام ، باستثناء باص واحد للحالات الاضطرارية ، نتيجة ندرة مادة المازوت وارتفاع أسعارها إن وجدت.

بعد الحادثة بنحو أسبوع ، أرسلت قوات النظام تعزيزات من عناصر الفرقة 15 ومليشيا الشبيحة (عناصر تابعين للحزب السوري القومي الاجتماعي ونزيه جربوع) ، إلى حاجز الجوية المدمر عند مدخل المدينة الغربي ، ووضعت رشاشات «دوشكا» وعربة «BMP» في الموقع ، إضافة لانتشار عناصرها على أسطح الأبنية القريبة ، في محاولة لإعادة الحاجز.

في سياق قريب ، قال مراسل «سويدا خبر» إنّ أهالي مدينة شهبا في ريف السويداء الشمالي ، أغلقوا طريق دمشق - السويداء الدولي ، أمام سيارات الترانزيت والنقل العام ، يوم الأحد 28 كانون الثاني ، بعد إيقاف حاجز تابع لقوات النظام سيارة شاحنة محملة بالطحين كانت متجهة إلى شهبا ، بحجة عدم وجود أوراق ثبوتية للشاحنة ، ما دفع أهالي المدينة للاعتصام وقطع الطريق الدولي حتى الإفراج عن الشاحنة.

ولفت المراسل أنّ شاحنة الطحين وصلت مساء اليوم ذاته إلى شهبا ، وتعود ملكيتها إلى شخص من آل «الطويل» ، فيما لا يملك الشخص نفسه الحمولة من الطحين ، وهي ضمن مخصصات أفران المحافظة ، قبل أن يفتح الأهالي الطريق مجدداً.

في سياق آخر ، نقل مراسل «سويدا خبر» عن ناشطين من قرية الخرسا في ريف السويداء ، أنّ مسلحين مجهولين فتحوا النار على منازل مدنيين في القرية فجر الجمعة 31 كانون الثاني ، دون تسجيل إصابات ، وأضاف أنّ مسلحين من أبناء القرية ردوا بإطلاق النار أيضاً ، قبل انفجار ثلاث

أخبار

عبوات ناسفة قرب مدرسة القرية الابتدائية عند مفرق قرية المجدل ، تبين أنها فجرت عن بعد ، وأسفرت الحادثة عن أضرار مادية ، وأفاد أهالٍ من القرية أنّ العملية ربما نفذها بدو مرتبطون برئيس فرع الأمن العسكري في السويداء «وفيق ناصر» ، ضمن ما وصفوها بـ«حملة في الريف الغربي تستهدف الحاضنة الشعبية للشيخ وحيد البلعوس».

من جانب آخر ، علم مراسل «سويدا خبر» من مصدر مطلع يوم الأحد 11 كانون الثاني ، أنّ قوات النظام أعدمت المجند المتطوع المعتقل «فهد معروف مراد» ، في سجن صيدنايا بريف دمشق ، بعد صدور حكم بالإعدام بحقه في وقت سابق.
وأوضح المصدر لمراسل «سويدا خبر» أنّ قوات النظام اعتقلت «فهد مراد» بتاريخ 1 آذار 2012 ، بتهمة محاولة الانشقاق ، خلال خدمته كمتطوع في الأمن العسكري بريف دمشق ، قبل إحالته إلى سجن صيدنايا ، حيث صدر بحقه حكم بالإعدام من محكمة ميدانية.

وأكد المصدر أنه سبق لقوات النظام أن سربت خبر مقتل «مراد» ثم نفته ، إلاّ أن الشرطة العسكرية أبلغت عائلته بضرورة استخراج شهادة وفاة له مؤخراً ، ولفت أنّ «فهد مراد» من أبناء قرية المتونة في ريف السويداء ، مواليد 1979.

إلى ذلك ، توفي الشاب «أمجد عبدالله رباح» إثر تعرضه لطلق ناري مجهول المصدر في قرية سميع ، بينما أصيب رجل وابنته بجروح (نعيم زهر الدين وابنته) ، جراء سقوط 7 قذائف هاون مجهولة المصدر ، على قرية الصورة الكبيرة في ريف السويداء الشمالي ، وجرح عدد من المدنيين بانفجار خزانات المازوت التابعة لمديرية الخدمات الفنية في حي الخزانات بمدينة السويداء ، خلال عملية صيانة بلحام الأوكسجين لأحدها.

في جرمانا بريف دمشق ، أطلق «جيش الإسلام» يوم الجمعة 30 كانون الثاني ، سراح ثلاث مختطفات لديه ، من محافظة السويداء ، اعتقلهن عند اقتحام مدينة عدرا العمالية في ريف دمشق ، نهاية 2013 ، وفق بيان صادر عن قائده «زهران علوش».

وجاء في بيان «جيش الإسلام» أنّ المختطفات الثلاث هنّ أم وابنتاها ، (أنغام ونبال وأمل البلعوس) ، أطلق سراحهن استجابة لوساطة من الإعلامي الدكتور فيصل القاسم ، وأفاد مراسل «سويدا خبر» أنّ المختطفات من مدينة صلخد في السويداء ، مقيمات في مدينة جرمانا بريف دمشق ، وتوجهن إليها بعد إطلاق سراحهن.
وكان «جيش الإسلام» اختطف 7 مدنيين من أبناء محافظة السويداء عند اقتحام عدرا العمالية ، أطلق سراح امرأة منهم (ماجدة الحرفوش) ، قبل نحو شهرين بعد ولادتها ، دون تفاوض أو تبادل وذلك جراء سوء حالتها الصحية بعد الولادة.

أخبار

تشكيل «الجيش الأول» في درعا والسيطرة على اللواء 82

تقرير: فريق تحرير ضوضاء

أعلنت فصائل مقاتلة في درعا مطلع كانون الثاني الجاري، تشكيل ما أسمته «الجيش الأول»، وفق بيان مصور بث على موقع التواصل الاجتماعي «يوتيوب»، وجاء في البيان المشترك لـ«فرقة الحمزة وجبهة ثوار سوريا والفوج الأول مدفعية»، أن من أبرز الفصائل المشكّلة ضمنه «ألوية المشاة وعددها 15 لواءاً، لواء الدبابات، لواء الراجمات والهاونات، لواء المدفعية الثقيلة، لواء الـ(م - د)».

ويضم «الجيش الأول» أيضاً ثمانية فروع رئيسية، أبرزها: «فرع الشيفرة وأمن الوثائق، فرع التسليح، فرع العمليات وفرع الهندسة»، فيما يضم خمسة كتائب، هي: «الكتيبة الطبية، كتيبة النقل، كتيبة الإشارة، كتيبة الهندسة وكتيبة الاستطلاع»، كما ذكر البيان، أن «الجيش الأول» يهدف إلى «إسقاط النظام وتحقيق دولة القانون والعدالة التي يحلم بها السوريون، ووفقاً لما تقتضيه المرحلة».

وفي تصريح خاص لوكالة «سمارت» للأنباء، قال الإعلامي التابع لـ«الجيش الأول» بدرعا، «وليد الرفاعي»، الجمعة 16 كانون الثاني، إنّهم يحضرون لمعركة كبيرة تمهد الدخول إلى مدينة الصنمين، وتدمير خط الدفاع الأول لقوات النظام عن العاصمة دمشق.

وأضاف «الرفاعي» أنّ التحضيرات تجري لبدء معركة بقيادة «الجيش الأول»، تشمل بلدات الدلي وبرقة والقنية وجدية وقيطة، واللواء 15 قرب إنخل، مؤكداً أنه ليس هناك ما يسمى فصائل في هذه المعركة، حيث «يقاتل الجميع تحت راية الجيش الأول، وهو نواة جيش وطني جديد».

وأوضح أنّ بناء الفيلق الأول التابع لـ«الجيش الأول» انتهى، ويتكون من: «فرقة الحمزة بقيادة العقيد صابر سفر، فوج الراجمات بقيادة أبو سيدرا، جبهة ثوار سوريا»، بينما لا يزال الفيلق الثاني قيد التأسيس، لافتاً أنّ: «بناء الفيلق الثاني جارٍ، مع قوة عسكرية ستقلب الموازين»، على حد قوله، وختم تصريحه بالقول: «عندما نحرر المناطق التي نخطط لها الآن، سنصل ريف درعا بريف دمشق، وعندها نتمكن من فتح طرقات لإيصال المساعدات للمناطق المحاصرة».

في وقت لاحق، أعلن الجيش الحر معارك عدة في ريف درعا الشمالي الغربي، للسيطرة على نقاط ومواقع عسكرية لقوات النظام، وقطع طرق إمدادها عبر أتستراد دمشق - درعا الدولي، ومنع وصولها إلى مدينة الشيخ مسكين، وإحكام الحصار على قوات النظام ومقرات ارتكازه في مدينة الصنمين.

وقال قائد «الجيش الأول» العقيد «صابر سفر» في تصريح لوكالة «سمارت»، إنّ «الحر» أطلق ثلاث معارك، تحمل الأولى اسم «صولة الموحدين»، وتهدف إلى السيطرة على: بلدة البقيع، حاجز البقيع، بلدة الدلي، وحاجز الدلي، فيما أطلق على المعركة الثانية اسم «فداك يا رسول الله»، للسيطرة على منطقة السحيلية، كتيبة النيران قرب اللواء 82 والمستودعات، وسميت الثالثة «وما النصر إلا من عند الله»، وتهدف للسيطرة على: معمل السيديات، السحيلية، حاجز السحيلية، والكتيبة 60.

وسيطر مقاتلو «الحر» خلال المعارك المذكورة على اللواء 82 وكتيبة النيران القريبة، كما سيطروا على بلدة الدلي وخربة الدلي وحاجز الكازية، إضافة إلى مزارع السحيلية، وكبدوا قوات النظام خسائر بشرية ومادية كبيرة، في حين سقط عدد من القتلى والجرحى في صفوف «الحر»، وقال العقيد «صابر سفر»: «سقط عدد من القتلى والجرحى من مقاتلينا، لدينا خسائر، ولا يوجد عمل عسكري ينجح دون تسجيل خسائر».

أخبار

في سياق آخر ، قتل أحد عشر مدنياً وجرح أكثر من عشرة آخرين ، الأربعاء 28 كانون الثاني ، إثر انفجار سيارة مفخخة في بلدة المزيريب بريف درعا الغربي ، وقالت وكالة «سمارت» للأنباء إنّ سيارة مفخخة انفجرت عند دوار الشارع الرئيسي في البلدة ، ما أوقع أحد عشر قتيلاً وأكثر من عشرة جرحى ، أعقب ذلك قصف مدفعي لقوات النظام على البلدة.

من جانبها ، أعلنت «هيئة الشام للإغاثة والتنمية» إطلاق حملة «كفالة» لأيتام ضحايا تفجير بلدة المزيريب بدرعا ، وصرح مدير الهيئة «محمد السياد» لوكالة «سمارت» أنّ الكفالة عبارة عن مبلغ من المال ، يسلم لأيتام الضحايا ، بقيمة 150 ريال سعودي شهرياً ، لافتاً أن جرحى الحادثة أسعفوا إلى مستشفيات في العاصمة الأردنية عمان ، ومعظمهم مصابون بحروق من الدرجة الثالثة.

إنسانياً ، أكد المكتب الإغاثي في محافظة درعا ، أنّ المحافظة لم تشهد وفيات جراء الأحوال الجوية والعواصف التي تعرضت لها المنطقة ، مشيراً إلى توجيه نداءات استغاثة لمنظمات حكومية وغير حكومية ، « إذ تعاني مخيمات الداخل مثل مخيمات الخارج ، من نقص الألبسة الشتوية خاصة للأطفال ، إضافة إلى نقص وسائل التدفئة ، وصعوبة إيصال المساعدات ، جراء انقطاع عدد من الطرق ، نتيجة الأمطار وتراكم الثلوج» ، على حد تعبيره.

بدوره ، وجه المجلس المحلي لمدينة الحارة نداء استغاثة ، وذلك بعد توقف المخابز في المدينة عن العمل ، نتيجة نقص المواد التموينية الأساسية وعلى رأسها الطحين والمازوت ، حسب بيان نشر على صفحته الرسمية في موقع «فيسبوك» ، موضحاً أن مخابز المدينة تحتاج يومياً إلى ستة أطنان من مادة الطحين ، و700 لتر من المازوت ، كحد أدنى حتى تعاود العمل ، مشيراً أنه تسلم الصندوق المالي من المجلس القديم «فارغاً» ، في حين أن ثمن الطن الواحد من الطحين يبلغ أكثر من 80 ألف ليرة سورية ، و400 ليرة للتر المازوت الواحد ، وفق البيان ذاته.

وتوجه المجلس المحلي بندائه إلى «الهيئات الإغاثية ، والمنظمات الإنسانية ، ولجان حوران في المغترب» ، للمشاركة في ما أسماها حملة «فزعة رغيف الخبز».

التوحيديون الجدد بعد إزالة حاجز المخابرات الجوية: حياة أهالينا وكرامتهم خط أحمر

أصدرت جماعة «التوحيديين الجدد» أمس الخميس بياناً، عقبت فيه على اقتحام رجال دين وشبان من بلدة المزرعة، حاجز المخابرات الجوية عند مدخل مدينة السويداء الغربي، وإزالة الحاجز وطرد عناصره، وهذا نص البيان:

«بسم الله الرحمن الرحيم

في أعقاب جريمة جرمانا النكراء، حيث الاعتداء والقتل العمد لشهيدنا نبيل الفاوي، من قبل عناصر الفرقة الرابعة المنفلتين من كل رادع أو قيم، وعقب استسهال إطلاق رصاص حاجز المخابرات الجوية بمدخل السويداء الغربي، واعتدائهم على باص للركاب المدنيين العزّل من بلدة المزرعة، نبين التالي:

• لم يكن بنو معروف إلا سيفاً مسلولاً لاستقلال وحماية الوطن عبر التاريخ، ولم نذعن لغاصب أو نهين في رد معتد.

• حياة أهالينا وكرامتهم خط أحمر، ولن نسمح لمجزرة المشفى الوطني بالسويداء عام 2000 أن تتكرر، على مرأى وصمت العالم أجمع.

• لم نعتد يوماً بل نرد كل اعتداء ومن أي مصدر جاء، ندافع وننتصر بعون الله تعالى.

• لم تكن الحواجز الأمنية يوماً لحمايتنا ولسنا بحاجة لتلك الهياكل الفارغة داخل القرى والبلدات، وليقم بنائها بمحيط المحافظة وعلى تخوم البلدات المهددة من عصابات الفلتان الأمني خارج الجبل.

• إن إزالة حاجز الجوية هو البداية لأفعال ستجعل كل مخالف لأعرافنا وأخلاقياتنا يأتي ويعتذر أو يرحل عن أرض الجبل، وهذا تحذيرنا الأخير لكل عصابات ومليشيات الاعتداء والقتل والإجرام.

• لقد صبرنا على الكثير من التجاوزات، فلصبرنا حدود ولن نسمح بتكرارها، وحقنا لنا وأرضنا حرام على المعتدين، والله من جهد البلاء...ونحن قد هنانا وعزانا ويا حملة الله..

السويداء 22-1-2015 رجال الكرامة

مبادرة السـويداء.. الدعوة إلى الإنقاذ والسلم الوطني

تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي بياناً، تحت عنوان «مبادرة السويداء.. الدعوة إلى الإنقاذ والسلم الوطني»، يتضمن مبادرة تقترح بنوداً لوضع حد للقتال الدائر في البلاد، وتدعو لعقد مؤتمر وطني برعاية أممية، لتشكيل حكومة انتقالية، وهذا نص البيان:

«إنّ الحرب المدمّرة المستعرة في وطننا الغالي سوريا، سبّبت نشوب الصّراعات الطّائفية والأهلية، وأدّت إلى وقوع المذابح والتدمير على نطاق واسع، فبلغ التّهجير الملايين، وتدهورت مستويات المعيشية والحالة الصحية والتعليمية لمعظم السوريين، فلقد فاقم تعاظم التّورط الإقليميّ والتّلاعب الدّولي والعجز العربيّ والأمميّ، من فظاعة المأساة السورية، الأمر الذي أدخل البلاد في نفق كارثيّ مسدود، عجزت جميع الأطراف المتصارعة عن الخروج منه.

وانطلاقاً من الدّور التّاريخيّ العروبيّ والوطنيّ الذي لعبته السّويداء، في ملحمة الاستقلال التي سطّرها الوطنيّون السوريّون، مؤكدين حُرمة الـدّم السّوريّ، ووحدة التراب الوطنيّ، والتزاماً بالوحدة الوطنيّة ورفض الانجرار إلى الفتنة بين أبناء الوطن الواحد بمختلف أشكالها، وتأكيداً لشعار الدّين لله والوطن للجّميع، الذي أرساه القائد العام للثّورة السّورية الكبرى سلطان باشا الأطرش.

تأتي مبادرة السويداء، التي تدعو الأطراف السّياسيّة والمسلّحة من السّلطة والمعارضة، إلى عقد مؤتمر الإنقاذ والسّلم الوطنيّ في سوريا وبرعاية الأمم المتحدة، في أي مكان ممكن، وترحب السّويداء بهذا دوماً وعلى استعداد لاستقباله، **وفقاً للأسس التّالية:**

1. وقف القتل والاقتتال وكلّ أشكال العنف والتّدمير على كافة المحاور، وحقن الدّماء بإعلان التّهدئة، وتجميد الوضع العسكريّ كلّ في موضعه.
2. السّماح للمنظمات الإنسانيّة والإغاثيّة والإسعافيّة بالوصول إلى كافة المناطق السّورية المنكوبة.
3. التأكيد على وحدة البلاد ورفض مشاريع تقسيم سوريّة، التي يعدّها أعداؤنا في السّر أو العلن.
4. ترحيل المسلّحين غير السّوريين المشاركين بالقتال لدى الطّرفين وإبعادهم عن الأراضي السّوريّة.
5. الإفراج عن كل معتقلي الرّأي وكشف مصير المفقودين، وإنهاء ملفات الاعتقال السّياسيّ والاختطاف والتهجير.
6. العمل على عودة المهجرين واللاجئين والنازحين دون أيّ معوقات، وتجديد جوازات سفر السّوريين المغتربين.
7. الدعوة لانعقاد مؤتمر الإنقاذ والسّلم الوطنيّ، لإقرار وتأليف حكومة إنقاذ وطنية انتقالية، من الأطراف السّورية كافّة، وبصلاحيّات تشريعيّة وتنفيذيّة كاملة ومُطْلَقة، مدتّها عام ميلاديّ، لتقوم بإدارة مؤسسات الدّولة، وتصون وحدة البلاد واستقلالها وترعى الأمن والاستقرار وتؤمن سبل العيش الكريم للسّوريين، ومن مهامها:
   - إعادة الإعمار والتّعويض على المتضررين وتأمين عودة المهجّرين.
   - محاسبة الجناة والمتسببين بالقتل والدّمار ومحاكمتهم محاكمة عادلة.
   - إعادة بناء المؤسسة العسكرية والأمنية بناءً وطنياً جامعاً لا يقصي أحداً.
   - تفكيك المليشيات وسحب المظاهر المسلحة من الشوارع، وعودة القوات المسلحة إلى ثكناتها.
   - إعداد مشروع دستور مدنيّ ديموقراطيّ جديد للبلاد، والاستفتاء العام عليه.
   - إجراء الانتخابات النّيابيّة يعقبها انتخاب رئيسٍ للجّمهوريّة وفقاً للدّستور الجّديد، تمهيداً لعودة الحياة السّياسيّة الدستوريّة المدنيّة التّعددية إلى البلاد.

تسعى مبـادرة السّـويداء، كمشروع أهليّ مدنيّ جامع لا يستثني أحداً، إلى وضع اللّبنات الأساسيّة للحلّ، بأيدٍ سوريّة وعلى الأرض السّوريّة، برعاية أمميّة محايدة، دون هيمنة أحدٍ «من الدّاخـل أو الخـارج»، وبما يصون وحدة البلاد أرضاً وشعباً، ويحفظ كرامة السّوريين وآمالهم في دولة المواطنـة والقـانون، فالدين لله وسوريّة وطنٌ لجميع أبنائه.

مبادرة السـويداء
الدعوة إلى الإنقاذ و السلم الوطني
إن الحرب المدمرة المستعرة في وطننا الغالي سورية - والتي تناوبت منذ الثلث - سببت نشوب الصراعات الطائفية والأهلية، وأدت إلى وقوع المذابح والتدمير على نطاق واسع، فبلغ التهجير الملايين، وتدهورت مستويات المعيشية والحالة الصحية والتعليمية لمعظم السوريين، فقد فاقم تعاظم التورط الإقليمي والتلاعب الدولي والعجز العربي والأممي من فظاعة المأساة السورية، الأمر الذي أدخل البلاد في نفق كارثي مسدود، عجزت جميع الأطراف المتصارعة عن الخروج منه.
وانطلاقاً من الدور التاريخي العروبي والوطني الذي لعبته السويداء، في ملحمة الاستقلال التي سطرها الوطنيون السوريون، مؤكدين حرمة الدم السوري، ووحدة التراب الوطني، والتزاماً بالوحدة الوطنية ورفض الانجرار إلى الفتنة بين أبناء الوطن الواحد بمختلف أشكالها، وتأكيداً لشعار الدين لله والوطن للجميع" الذي أرساه القائد العام للثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش.
تأتي مبادرة السويداء، التي تدعو الأطراف السياسية والمسلحة من(السلطة والمعارضة)، إلى عقد مؤتمر الانقاذ والسلم الوطني في سورية وبرعاية الأمم المتحدة، في أي مكان ممكن، وترحب السويداء بهذا دوماً وعلى استعداد لاستقباله، وفقاً للأسس التالية:
1) وقف القتل والاقتتال وكل أشكال العنف والتدمير على كافة المحاور، وحقن الدماء بإعلان التهدئة، وتجميد الوضع العسكري كل في موضعه.
2) السماح للمنظمات الإنسانية والإغاثية والإسعافية بالوصول إلى كافة المناطق السورية المنكوبة.
3) التأكيد على وحدة البلاد ورفض مشاريع تقسيم سورية، التي يعدها أعداؤنا في السر أو العلن.
4) ترحيل المسلحين غير السوريين المشاركين بالقتال لدى الطرفين وإبعادهم عن الأراضي السورية.
5) الإفراج عن كل معتقلي الرأي وكشف مصير المفقودين، وإنهاء ملفات الاعتقال السياسي والاختطاف والتهجير.
6) العمل على عودة المهجرين واللاجئين والنازحين دون أي معوقات، وتجديد جوازات سفر السوريين المغتربين.
7) الدعوة لانعقاد مؤتمر الانقاذ والسلم الوطني، لإقرار وتأليف حكومة انقاذ وطنية انتقالية، من الأطراف السورية كافة، وبصلاحيات تشريعية وتنفيذية كاملة ومطلقة، مدتها عام ميلادي، لتقوم بإدارة مؤسسات الدولة، وتصون وحدة البلاد واستقلالها وتر عى الأمن والاستقرار وتؤمن سبل العيش الكريم للسوريين، ومن مهامها:
- إعادة الإعمار والتعويض على المتضررين وتأمين عودة المهجرين.
- محاسبة الجناة والمتسببين بالقتل والدمار ومحاكمتهم محاكمة عادلة.
- إعادة بناء المؤسسة العسكرية والأمنية بناءً وطنياً جامعاً لا يقصي أحداً.
- تفكيك المليشيات وسحب المظاهر المسلحة من الشوارع، وعودة القوات المسلحة إلى ثكناتها.
- إعداد مشروع دستور مدني ديموقراطي جديد للبلاد، والاستفتاء العام عليه.
- إجراء الانتخابات النيابية يعقبها انتخاب رئيس للجمهورية وفقاً للدستور الجديد، تمهيداً لعودة الحياة السياسية الدستورية المدنية التعددية إلى البلاد.
تسعى مبـادرة السّـويداء، كمشروع أهلي مدني جامع لا يستثني أحداً، إلى وضع اللبنات الأساسية للحل، بأيدٍ سورية وعلى الأرض السورية، برعاية أممية محايدة، دون هيمنة أحد «من الداخـل أو الخـارج»، وبما يصون وحدة البلاد أرضاً وشعباً، ويحفظ كرامة السوريين وآمالهم في دولة المواطنـة والقـانون، فالدين لله وسورية وطنٌ لجميع أبنائه.

HAWA SMART

إذاعة هوا سمارت

راديو الكل

العاصمة أون لاين

سوريالي

دمشق.حمص.حماه 103.2

حلب.ادلب.اللاذقية.دير الزور 99.6

من الساعة

6 الصبح - 12 مساءً

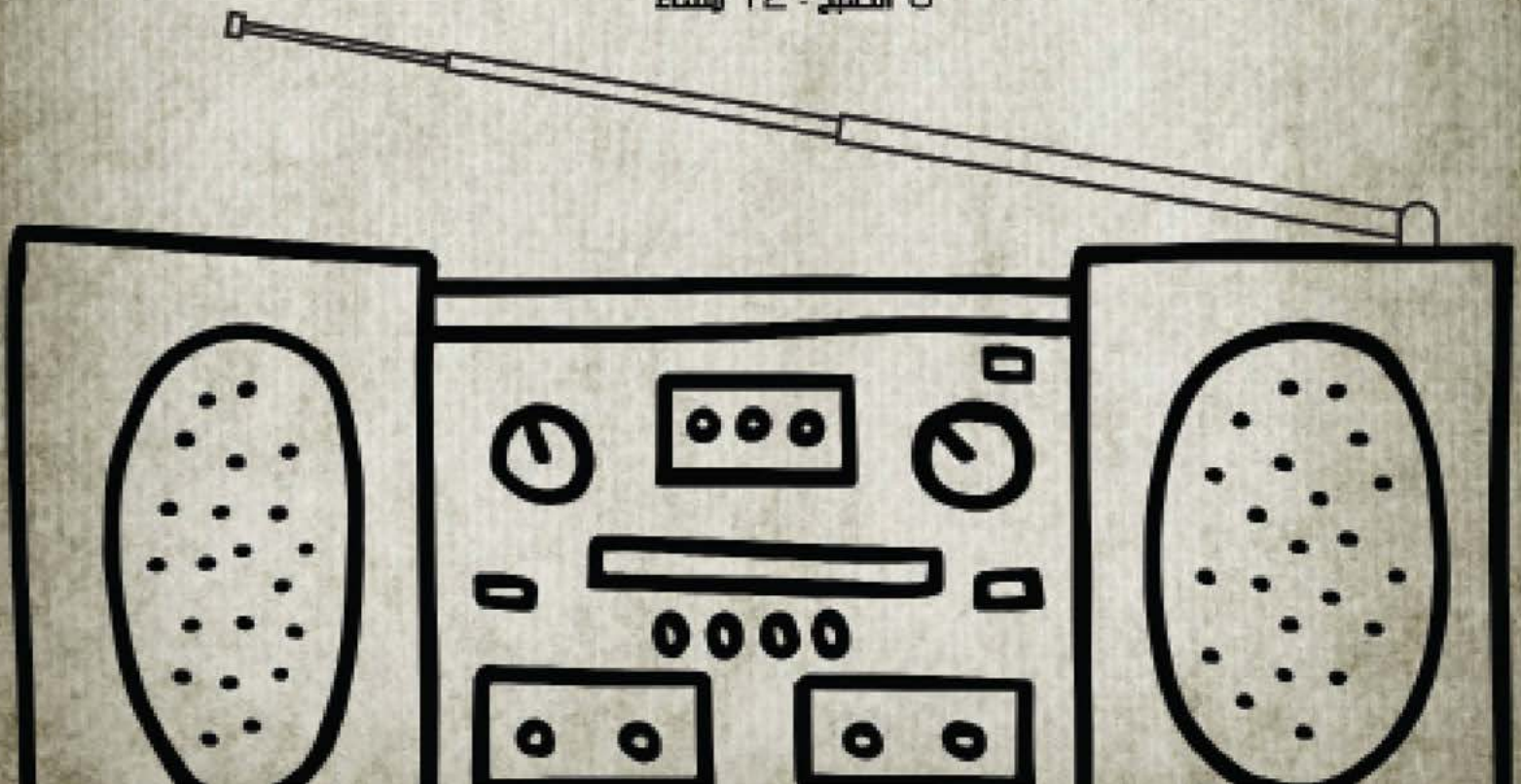

تحقيق

آثار السويداء حقيقة تقارب الخيال

يوسف شيخو

تتمتع سوريا بتراث أثري وتاريخي بالغ الأهمية ، حيث يوجد فيها ثمانية وثلاثين متحفاً ، تتوزع على غالبية المدن والمحافظات ، وتضم في خزائنها مئات الآلاف من اللقى والتحف الأثرية والتراثية التي تعود لأزمنة مختلفة. لكن معظم مناطق البلاد ، الغنية بالمواقع الأثرية القديمة ، تشهد اليوم نهبا وتدميراً ممنهجا لإرثها الحضاري ، سواء من قبل النظام وقواته ، وما يتبعها من ميليشيات ، أومن جانب منظمات ومجموعات محترفة. وكما هو الحال في معظم هذه المناطق ، تمر المواقع الأثرية في محافظة السويداء بمرحلة خطرة وحساسة ، بل بواقع قاسٍ دفع البعض إلى القول إنهم حين يمرون بمعلم أثري في السويداء ، فانهم يفضلون إغلاق اعينهم حتى لا يروا آثار التعدي والتخريب التي طالت آثار هذه المحافظة وأوابدها.

وجه أحد مراسلي «ضوضاء» في السويداء ، مجموعة من الأسئلة لمختصين ومهتمين حول ما يوصف بالواقع المأساوي الذي تمر به هذه الثروة الوطنية. يقول أحد المتابعين إن «بعض ضعاف النفوس ، ممن يملكون عقارات أثرية في السويداء ، قاموا بالتعدي عليها ، عبر تجريف أجزاء منها بهدف إشادة بناء حديث والاستفادة من القفزة العمرانية في مدينة السويداء ، واستغلال ما أمكن من فورة الإيجارات في المحافظة». ويضيف بالقول: «تتمثل هذه المخالفات ببناء غرف منزلية حديثة ضمن حرم المواقع الأثرية ، والعمل على إزالة بعض الجدران الأثرية ، إضافة لقيامهم بإجراء حفريات غير نظامية داخل المواقع الأثرية ، لدرجة إن الرقم الرسمي من دائرة الآثار للتعديات فاق 120 ضبطاً هذا العام».

بالعودة إلى عصور بعيدة ، يفيد القول إن تاريخ السكن في السويداء يرجع إلى الألفية الثانية قبل الميلاد ، وينقسم مركز المدينة تاريخياً إلى ثلاثة أجزاء ، المدينة العليا والحي الشرقي والحي الجنوبي ، وهذه الأحياء تعود إلى عصور تاريخية متنوعة ، منها البيزنطي والروماني ، وتوغل في القدم بين القرنين الثاني والسادس الميلادي.

ويضيف المصدر في عرضه للواقع أن «هذه التعديات وبرغم الضبوط المنظمة بحق المخالفين ، تقع ضمن الحرم الأثري غير المسموح بالبناء ضمنه ، أو في مناطق ممنوع البناء داخلها ، كما يقوم بعض المواطنين بزيادة عدد الطوابق غير المسموح بها في هذه المواقع». ويعزو ازدياد حالات التعدي هذه إلى «تهاون الجهات التنفيذية ، ولاسيما مجالس المدن والبلدات مع أصحاب هذه المخالفات ، خاصة من كان منهم مقرباً أو تابعاً لجهة أمنية ، عدا عن عدم فاعلية محاولات إيقاف هذه المخالفات».

وفي الصدد ، يروي أحد الإداريين أن «هناك روتيناً قاتلاً ، في المراسلات الرسمية ، وغالباً ما تصل متأخرة ، حينها ، يكون من ضرب ضرب.. ومن هرب هرب! كما أن عدم استجابة الوحدات الإدارية ، لإجراءات دائرة آثار السويداء المتخذة بحق المتعدين على المواقع الأثرية ، شجع مرتكبي هذه التعديات على الاستمرار». ويؤكد أن «الاعتمادات المرصودة سنوياً لأعمال الترميم والتنقيب والاستملاك قليلة جداً ، بحسب دائرة الآثار ، ولا تلبي حاجتها ، علماً أن بعض هذه المواقع مثل (شهبا- قنوات- شقا- صلخد) ، بحاجة دائمة لأعمال ترميم وصيانة وتأهيل وتنقيب».

اللافت هو استمرار منح تراخيص البناء في هذه المواقع الأثرية ، وعليه ينقل مراسل «ضوضاء» ، عن أحد الموظفين في المجلس البلدي ، أن «هناك أكثر من إشارة استفهام حول مسألة منح التراخيص. فكثير من الناس يقومون بأعمال البناء ، بعد حصولهم على تراخيص نظامية من حكومة النظام ، رغم مخالفتها لقانون الآثار ، وحجة منحها هو تخديم المواطن». وقد صدر سابقاً قرار يلزم بتسجيل البيوت القديمة والمواقع الأثرية الواقعة ضمن المدن القديمة (السويداء- شهبا- صلخد) ، وتم وضعها في عداد المواقع الأثرية. وتم إلغاء القرار لاحقاً ، وذلك «تلبية لمطالب المواطنين ، في ظل الارتفاع الجنوني لاسعار العقارات في مدينة السويداء وضواحيها».

مواقع مهمة.. ومهمشة

من المواقع الأثرية المهمة ، التي عانت من الأهمال ، «خربة أبو لابد» ، التي طمست معالمها منذ أكثر من 25 عاماً ، وتقع على طريق الكورنيش الغربي في مدينة السويداء ، ولم تسجل دائرة آثار السويداء الخربة ضمن آثارها في حينه ، والواقع أنه لم يبق منها شيء اليوم للتسجيل. واكتشف في مغارة ، جنوب غرب الخربة ، تماثيل حجرية نقلت إلى متحف السويداء. أما منطقة «المُغر» في وادي السويداء ، من جسر الطبالية ونحو الشرق ، فعانت أيضا الأهمال ، وكذلك «الجسر الروماني القديم» ، الذي طمس مبدئياً بسبب إقامة سوق الخضار غير المستخدم تحت الجسر.

وفي تعليقه على الأمر ، يقول حسين زين الدين ، مدير الآثار والمتاحف في السويداء ، إن «من مسؤولية المديرية الحفاظ على هذه المعالم التاريخية ، ومن أولوياتها «بركة الحج» ، وهي مشكلة المشاكل». فمنذ العام 1970 ، تم طي تسجيلها من الآثار «وحولت إلى ملاك بلدية السويداء ، وسيقوم مجلس البلدية ، بموافقة مديرية الآثار برقم 263/ص تاريخ 10-4-2013 ، باستثمار هذه المنطقة على العقارين رقم 6036/6037/ س ش 1/1 بمساحة إجمالية تقدر بـ 1440 م2. كما يوضح زين الدين ، في حديث سابق لصحيفة محلية ، أن «البلدية تريد إقامة مرآب طابقي للسيارات ، مع استثمارها أيضاً للجهة الأخرى فوق الملجأ بموقف سيارات حالياً». ومديرية الآثار تشترط في كتابها رقم: 263/ص ما يلي: أن لا يزيد ارتفاع منسوب السقف

تحقيق

الأخير عن الشوارع المجاورة ، وأن ينفذ الجزء الظاهر من المنشأ بعيداً عن الجدران الأثرية ، بما لا يقل عن 5 م ، عدم الإضرار بالجدران الأثرية ، وأن يتم تصريف المياه وفق رؤية متخصصين من مديرية الآثار ، وأن يتم التنسيق مع الآثار بشأن التصميم العام والدراسات التفصيلية.

وهنا يمكن طرح بعض التساؤلات حول المسؤولين عن هذا الموضوع ، لماذا لا يستثمر المكان سياحياً ، لماذا يتم تفوير المياه ، علما أن المياه هي من أصل المكان وليست آسنة كما يشاع ، كذلك من سيحافظ على الجدران التاريخية الأثرية ؟ وكيف ؟.

مواقع تنتظر قرارات الاستملاك

ليس سراً أن جوانب المسرح الكبير مرفوعة للاستملاك منذ العام 2006 ، وكذلك قلعة النعمان بن المنذر ، غربي المشنقة ، تنتظر المصير ذاته ، وهي عبارة عن قلعة وقصر ، كتب عنهما خبراء فرنسيون ، يعودان للفترة الهلنستية. وفي السياق ، يقول زين الدين إن «هذ القلعة محمية بموجب قرار تسجيل (ترميم فقط ، مع منع بناء)». كما إن الجامع الموجود مقابل صالة «كاناثا» يحتاج إلى تنسيق مع صاحب العقار لمحاولة استثمار الموقع ، بالاضافة إلى الحمامات الموجودة في بيت حافظ دوراة ، غرب المسرح الصغير ، ويؤكد مدير الآثار إن كتاباً بخصوص استملاكها رفع ولم يرد أي رد عليه.

من المواقع التي تنتظر قرارات الاستملاك أيضاً ، مقبرة رافع غرب المسرح وإلى الجنوب ، وقد رفع كتبا بخصوص استملاكها منذ العام 2006 ، ولم يرد أي جواب حتى اللحظة ، علما أن المديرية العامة للآثار تعارض هذا الاستملاك. وهناك أيضاً معبد ذو الشراه (أعمدة شارع البلاط من بقاياه) ، وشارع نجمة (الشارع المستقيم) والسوق المحاذي على الجانبين من المشنقة إلى ساحة النجمة. ويقول زين الدين: «نقوم بزيارات دائمة للمكان ، مع العاديات ورئيس البلدية ، وقد تم تقرير الكشف عن البلاط الأساسي وإزالة الزفت ، ومن ثم ترميم المكان». وهناك أيضا معبد «آلهة المياه» ، غرب المشنقة ، حيث جرى استملاك بعض من أجزائه والباقي تحت شارع نجمة ، بانتظار تعديل مسار الشارع.

ومن المواقع المهمة التي يمكن تسليط الضوء عليها:

- **قرية قراصة:** تم اكتشاف مواقع تعود للعصور الحجرية في محيط بحيرة. كانت تتشكل منذ زمن بعيد ، وعلى ضفتها الشمالية مساكن تعود للألف الحادي عشر قبل الميلاد. وأيضاً موقع التل الغربي ، الذي يعود للقرن التاسع قبل الميلاد ، والتل الجنوبي الذي يرجع إلى فترة العصر البرونزي.

- **قرية المجدل:** لوحة فسيفساء تبلغ مساحتها 2×3 م تقريباً ، تعود للفترة الرومانية المبكرة. تحتوي على مقبرة موجودة في دار رومانية قديمة ، وكنيسة تعود للعصر البيزنطي ، وبيوت أثرية كثيرة جداً.
- **شقا:** القيصرية والدير والكنيسة ، تعود للفترة الرومانية ، ويذكر وجود مسرح غير مكشوف حتى الآن.
- **صلخد:** القلعة الأثرية الهامة التي سترمم العام القادم ، وفق تصريحات المسؤولين في حكومة النظام.
- **بوسان:** البرج ، وبقايا معبد ، إضافة إلى بيوت أثرية.
- **المشنف:** المعبد تم ترميمه ، وتم الكشف عن ساحته من قبل البعثة الألمانية السورية في العام 1997.
- **قرية بريكة:** إلى جنوبها معلم هام جداً ، يعرف باسم «دبة بريكة» ، التي يعتقد من خلال البحوث الحديثة إنها مملكة دبو القديمة ، التي ذكرت في مراسلات تل العمارنة ، ولوائح تحوتمس عند الفراعنة ، وكذلك مراسلات الأشوريين.
- **سيع:** هناك مجمع المعابد ، الذي يعود للفترة النبطية والرومانية ، وتم مؤخراً اكتشاف معالم مهمة جداً فيه.
- إم الرمان: هناك مغارة تدعى الهوة ، وتعد أطول مغارة بازلتية في الشرق الأوسط ، وحسبما أفادت دراسات من خارج سوريا ، يبلغ طولها حوالي 1600 م. وقامت جمعية العاديات بوضع باب للمغارة ، وذلك في محاولة الحفاظ عليها ، ولكنه سرق ، وتركت المغارة تحت إشراف البلدية دون حماية ، علماً إنها من المواقع المهمة وذات قيمة سياحية كبيرة ، وتحتوي على تشكيلات (صواعد ونوازل) ، وهي من المواقع النادرة

في العالم ، حسب خبراء.

معوقات تواجه عمل مديرية الآثار

من أبرز المعوقات التي تقف في طريق عمل مديرية آثار السويداء ، وفق ما يوضح المسؤولون في المديرية ، هو عدم وجود أفق استراتيجيا ، لعمليات التنقيب والكشف عن الآثار ، وكذلك غياب الميزانيات المخصصة والكافية لهذا العمل ، فمخصصات مدينة السويداء ومدنها وقراها من الميزانية المخصصة لأعمال الترميم والتنقيب قليلة جداً جداً ، ولا تكفي لعملين أو ثلاثة على الأكثر في العام ، ذلك ، بالاضافة إلى عدم صدور قرارات الاستملاك النائمة في أدراج المسؤولين منذ زمن.

أما أحد فنيي الآثار ، والموظف في مديرية آثار السويداء منذ أعوام ، الذي رفض الكشف عن اسمه ، فيرى أن هناك غياباً لقرارات الاستملاك عن مواقع أثرية هامة في المحافظة ، في حين تأخرت قرارات أخرى ، ويتساءل بالقول: «إن الميزانيات غير كافية للكشف عن موقع صغير ، فكيف لمواقع بهذه الضخامة والأهمية أن تجد من يكشفها ؟». كذلك ليس هناك عدد كاف من الموظفين والمراقبين لحراسة المواقع المكتشفة ، في ظل استغلال الأزمة التي تمر بها البلاد ، وما يرافقها من انفلات أمني ، وسط استمرار تنفيذ عمليات مخالفات بناء ضمن البلدة القديمة في المدينة ، يضاف إلى ذلك عدم وجود برنامج لتأهيل المناطق الأثرية في القرى والبيوت التراثية كجاذب سياحي للمحافظة ، عن طريق طرح استثمارات كمطاعم ومقاصف ومحال شرقيات ، بالتنسيق مع أصحاب العقارات.

مشاريع قيد التنفيذ

يوضح حسين زين الدين أن هناك مشاريع وأعمال في طريقها للتنفيذ ، مشيراً إلى أن قلعة صلخد مخصص لها 5 مليون ليرة سورية لبدء العمل في ترميمها ، وستكون في متناول مديرية الآثار في العام القادم. كما ستستكمل أعمال التنقيب في مواقع: دبة بريكة ، سيع وقنوات ، وموقعي (المسرح والكنيسة) في السويداء. ويؤكد زين الدين على «ضرورة تعاون المواطنين والأهالي والصحافة في الكشف عن الكنوز التاريخية في هذه المدينة وقراها ، وضرورة تعاون المديريات التي يخصها هذا العمل ، وهي البيئة ، والسياحة ، ومجلس المدينة ، ومؤسسة المياه ، إضافة إلى الآثار ، لإظهار واستثمار

الموقع المميز والتاريخي لهذه البقعة من الوطن».

وتفيد الاشارة هنا إلى أن هذا العام أنجز ترميم وتأهيل وتدعيم البوابة الجنوبية في مدينة شهبا ، التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي ، وترميم جدار ساحة المعبد الإمبراطوري في المدينة ، وقيصرية شقا الأثرية ، والكنيسة الأثرية في بلدة ملح. أما المتحف ، فما زال قيد الدراسة.

«كلهن كم حجر مش محرزين»

ونقل مراسل ضوضاء أكثر من شهادة تفيد ، بأنه سبق وأن تشكلت لجنة من نقابة الفنانيين والمهندسين ، وبناء عليه قدمت عريضة ضد مرور الطريق المحوري الذي يهدد تاريخ السويداء ، وفي لقاء اللجنة مع المحافظ ابراهيم هنيدي ، لم يتردد الأخير في تهديد أعضاء اللجنة «بالسجن العرفي لمدة 6 أشهر لكل شخص» ، اذا «تم اثارة الموضوع مرة أخرى». أما مدير الآثار السابق في السويداء ، علي ابو عساف ، فأبلغ اللجنة ان الطريق «سيمر لأن وراءه أشخاص بالقصر الجمهوري ، ولن يستطيع أحد ايقاف المشروع». ولدى طرح مشكلة الآثار ، قال أبو عساف: «منعمل مثل باب شرقي ، منمرق الجسر من تحت المشنقة ، فقال له أحد الفنانين: يادكتور انت مش رايح عالمنطقة ولا بتعرفها ، لان مستحيل هذا الحل ، فرد بالقول: «منعمل الطريق فوق المشنقة بس الطريق بدو يمر ، وكلهن كم حجر مش محرزين».

وتؤكد مصادرمطلعة على تاريخ المنطقة ل مراسل «ضوضاء» ، أن «القائمين على هذا المشروع من والمحافظ ورئيس البلدية حينها «تيسير ذبيان» ، وضباط فروع الأمن (بينهم ذيب زيتونة ومحمد الشوشة) ، قاموا بنشر مخطط تنظيمي أولي ، فقام مجموعة من السماسرة بمحاولة شراء المنازل التي يخترقها الطريق المحوري بأسعار بخسة ، يؤكد الكثيرون أنهم واجهات ل «القائمين على المشروع» أنفسهم ، بحجة أن المنازل ستهدم». وتضيف المصادر ذاتها ، أنه «بعد أن تمت عملية الشراء ، تم تغير اتجاه الطريق ، لتتحول العقارات الممتلكة من قبل هؤلاء إلى جانبي المحوري ، وبالتالي تضاعف أسعار العقار».

أخيراً تبنى مجلس الأمن الدولي ، قراراً يقضي بحظر كل تجارة الآثار في سوريا ، ونص القرار أيضا على أن ممارسات النهب والسلب والتدمير والاتجار غير المشروع ، التي يتعرض لها التراث الثقافي ، لا تمثل مأساة ثقافية فحسب ، بل إن الأمر يتعلق أيضا بضرورة اتخاذ تدابير سياسية وأمنية عاجلة ، في كافة الجهود الرامية إلى احلال السلام. علما أن العراق استفاد من قرار أصدرته الأمم المتحدة ، يحظر الإتجار في آثارها بعد الغزو الأمريكي عام 2003. لكن المعضلة في سوريا تكمن في انه لا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو» ، العمل داخل المحافظات (الخاضعة لسيطرة النظام) مثل السويداء ، دون إذن من النظام ذاته ، وهو الأذن الذي لا يبدو أنه قد يصدر قريبا.

تحقيق

تاريخ سوريا في أيدي اللصوص

محمود أحمد

ليس سراً أن نظام بشار الأسد لم يكتف بسرقة حاضر سورية وتدمير مستقبلها ، بل سرق ماضي هذا البلد الذي يحتضن أقدم وأعرق الحضارات ، فسورية كانت فعلاً مهد الحضارات الإنسانية ، فمنها انطلقت أول أبجدية في التاريخ البشري. وهنا يقول سليم البستاني عن السوريين: «نحن الذين أعطوا العالم الأديان ، وأكسبوه مبادئ ما له من التمدن وأسباب الرغد والراحة ، وفتحوا له أبواب المتجر براً وبحراً ، واقتحموا الأخطار والأهوال العظيمة لكي يكسبوا بلادهم ثروة وصولة وشُهرة وهيبة.

أقيمت المدن السورية على مدن قديمة طواها الزمن ، وتتميز الأرض السورية بأنها تضم بين ثناياها حضارات بشرية ، وللأسف فإنّ هذه الحضارات تعرضت ولا تزال تتعرض للسرقة والنهب ، خاصة في السنوات الأربعة الفائتة. يقول المدرس أبو خليل ، من ريف حلب الشرقي إن «عملية نهب الآثار ليست شيئاً طارئاً على سورية ، فقد كانت عملية السرقة تجري بشكل منظم منذ عهد الأسد الأب» ، فكان النظام (بمؤسساته الأمنية) شريكاً في كل عمليات السرقة. ويضيف أبو خليل أنه «في الثمانينات ، كان رفعت الأسد يسخر الجيش للتنقيب عن الآثار ، وحينها ، استطاع بيع كميات ضخمة ، وبقيمة كبيرة». وليس غريباً أن تزدهر سرقة الآثار في ظل الحرب والفوضى التي تعيشها سورية ، إذ أن قليلاً من الجهد يكفي لتحقيق ربح كبير ، وعليه يقول أبو محمود ، وهو منقب عن آثار في مدينة منبج ، إنه «أحياناً تعمل شهوراً دون فائدة ، ولكن قد يؤدي اكتشافك أثراً واحداً إلى جعلك مليونيراً». وليس سراً أن الأهالي الباحثون عن الآثار اعتمدوا طرقاً بسيطة للتنقيب. يقول حسان ، وهو أحد المهتمين بالآثار ، إنه «في قُرانا يستخدمون طرقاً بسيطة مثل استخدام قضيبين معدنيين على يد خبير ، يمسح بواسطتهما المنطقة المراد التنقيب فيها ، وبمجرد أن تحرك القضيبان في يد الخبير فهذا يعني وجود فراغ تحت الأرض ، وبالتالي الآثار».

لكن خبراء يرون أن هذه الطريقة غير عملية ، فقد تتحرك القضبان بيد الخبير نتيجة الشقوق الأرضية أو المياه ولا يمكن التمييز بين حركة القضبان للآثار وحركتها هنا ، والفصل هو الحفر ، والطريقة الشائعة عند عوام الناس الاعتماد على الحفر اليدوي عقب الدراسة. ودخلت تقنيات حديثة في عمليات التنقيب عن الآثار ، وهي وسائل كانت ممنوعة في وقت سابق ، يقول حسان: «استخدمت أجهزة كشف المعادن والآثار ، ولكنها أيضاً غير فعالة لأنها تكشف المعادن بالأرض المخلخلة دون الصلبة ، وتالياً فان نتائجها غير مرضية».

أما السرقات الكبرى فكانت تتم بمشاركة القوى الأمنية ، إذ كان في سد تشرين (الشهداء حالياً) جهاز كشف الآثار ، يؤخذ في سبيل الإعارة نتيجة اتفاق مالي معين ، يقول خالد أبو محمد ، وهو أحد منقبي الآثار ، إنه في السابق «كان منقبو الآثار يعقدون شراكة مع المسؤولين لتأمين الجهاز ، والحماية قبل الجهاز ، وأحياناً يتولى المسؤولون الكبار عمليات التصريف» ، إذ تسخر إمكانات الدولة لسرقة سورية ، وتستخدم وسائل أخرى منها احضار الجان في التنقيب عن الآثار ، ويضيف أبو محمد أنه «من خلال مرافقتي لبعض الباحثين عن الآثار ، وجدتهم يقرأون بعض التمائم لاحضار الجان ، ويدعون أنها تعطي نتائج ولكن لم ألحظ ذلك».

وتعيش سورية الحالية فوق مدن وحضارات متنوعة العصور ، ويختلف وجود الآثار لاختلاف الحضارة. ويرى أبو سليمان ، وهو منقب عن الآثار ، ان «بعض الآثار تكون قريبة من سطح الأرض (مترين أو ثلاثة أمتار) ، ومنها ما يكون على عمق 12 متراً ، وكلما كانت عميقة زاد البعد الزمني».

وتفيد صحيفة «الاندبندنت» البريطانية ، في تقرير نشرته منتصف الشهر الجاري ، بأن المواقع الأثرية التي نهبت في سورية ، خلال الأعوام الأربعة الفائتة ، ضمت مواقع لآثار مدينة تدمر وقلعة الحصن ، التي

تعد أوسع قلاع عصر الحروب الصليبية. وعلى ما أوضحت الصحيفة فأن المقتنيات الاثرية المسروقة تضم تماثيل وأعمال فنية ، وتماثيل وعملات نقدية وأختام.

لكن في الواقع فان سرقة الآثار ليست حالة طارئة في سورية ، نتيجة الحرب الجارية في البلاد ، إذ كانت زمن النظام أخطر ، وأكثر تنظيماً ، سواء من حيث النوعية والكمية والمساحات. ويفيد أبو سليمان بأنه قبل بدء الثورة ، كانت «تسخر إمكانات الدولة للسرقة عبر مسؤولين كبار ، فعند توارد الأخبار عن وجود آثار في منطقة معينة ، يتم فتح مشروع معين للتمويه ، بينما الحقيقة كانت سرقة الآثار». وأحياناً كانت السرقات تتم بطريقة أسوأ ، إذ تؤخذ اللقى الأثرية من المحافظات والمدن السورية بحجة وضعها بمتحف دمشق ، وفي الطريق يتمّ استبدالها بقطع مزورة. ويقول «أبو معتز» ، وهو خبير أثري من ريف حلب إن «نسبة كبيرة من الآثار الموجودة في المتاحف السورية مزورة ، بينما الحقيقي يهرب للخارج ، فقد كان لرفعت الأسد ميناء خاص».

وفي المناطق التي يسيطر عليها تنظيم «الدولة الإسلامية» ، تحولت عملية التنقيب عن الآثار لعملية تجارية خالصة ، لا تحمل أي بعد حضاري أو إنساني ، فالتنظيم لا يلتفت لهذه الأمور بل يقوم أحياناً بنسف مواقع وأضرحة تاريخية. ويتم البحث عن الآثار بموافقة من «الوالي» ، وقد اعتمد التنظيم على أصحاب الخبرة السابقين ، وتداول الشارع قصصاً كثيرة عن لقى هائلة باعها التنظيم ، ولا يمكن التأكد من صحتها. ويوضح الأربعيني أبو حسام ، من ريف دير الزور ، أن هناك حديث عن «استخراج التنظيم من منطقة الشدادي وحدها ، ما يقدر بحمل سيارة كبيرة من الذهب واللقى الأثرية ، كما عمل التنظيم على عمل ورش في المناطق الأثرية بريف دير الزور (الصالحية وماري والرحبة وماشخ وشمساني وتل حمد وقلعة طابوز)» ، ويضيف أبو حسام أن التنظيم نقب أيضاً في محافظة الرقة ، وخصوصاً في منطقة العكيرشي الواقعة بين دير الزور والرقة».

ويعمل تنظيم «الدولة» بأريحية بعد أن جلب ما يستطيع من أجهزة كشف حديثة ، وقد تعمل الآلات الكبيرة الجرافات (التركسات) لهذه الغاية وتحت نظر

الناس ، إنهم «الدولة والمتصرف». وهناك مجموعات من التنظيم تعمل بشكل فردي ، وهي في غالبيتها تتعاون مع أصدقاء أو التنقيب في بيوت الجيش الحر والمزارع المصادرة من قبل التنظيم ، بعد أن قطنوا هذه المنازل. ويشير القيادي في الجيش الحر ، سامح الحمد ، وهو أحد الذين صادر التنظيم بيته وأملاكه ، إلى أن تنظيم «داعش بدأ التنقيب عن الآثار قبل السيطرة الكاملة على تلك المناطق ، وبعد السيطرة والاستيلاء على بيوت مقاتلي الجيش الحر ، سكن عناصره في الشقق السكنية ويقومون بالتنقيب عن الآثار في البيوت العربية والمزارع». ومن المثير أن تنظيم «داعش» لا يعتبر التنقيب عن الآثار جريمة وإنما يعتبرها املاك ، ولكنها تختلف عن الاملاك العادية بنسبة الزكاة ، فالآثار «معروفة باسم الركاز وزكاتها 20% ، ولا يشترط مرور حول على استخراجها». يقول ناصر ، وهو طالب جامعي من مدينة منبج إن «الناس يبحثون عن الآثار بشكل مستمر دون علم تنظيم الدولة ، وعندما يصل الخبر للتنظيم فإنه يأخذ نسبة كبيرة من الآثار بحجة الزكاة ، وهذا ما حصل مع أحد أصدقائي بالقرب من قلعة نجم شرقي منبج».

أما في المناطق التي يسيطر ، أو التي كان يسيطر عليها ، الجيش الحر ، أخذ التنقيب فيها طابعاً منظماً من قبل الفصائل العسكرية الثورية ، وكان يتم بواسطة عصابات منظمة استثمرت الفراغ الأمني الحاصل ، وغالباً ما يقوم بذلك الأهالي الذين يبيعون اللقى لسماسرة بأثمان متواضعة ، لأنهم لا يعرفون ثمنها الفعلي ، يقول المدرس أبو أحمد ، من مدينة منبج إن الأهالي يبيعون «اللقى الذهبية بسعر الذهب الرائج بالسوق أو بزيادة طفيفة ، في وقت تفوق القيمة الأثرية قيمة الذهب المادية».

وجرت في منبج قصص كثيرة ، ويُعتقد أن البعض اغتنى نتيجة التنقيب ، مثل الحاج عبدالله ، الذي ظهر عليه الغني فجأة بعد بناء بيته (شمال الحديقة العامة) ، ومنذ عدة سنوات مقابل جامع الفتح ، قام أحدهم ببناء مفسلة للسيارات ، فأنشأ الرجل جزءاً من المشروع ليختفي لاحقاً دون أي تفسير واضح ؛ ليتبين لاحقاً أنه عثر على لقى أثرية ذهبية هرب بها إلى تركيا ، وكذلك في مدرسة (زيدان حنيضل) ، وجد على آثار كثيرة وتوقف العمل ثم استمر بعدما ذهبت الآثار لجهة مجهولة ، ولكن كثير من الناس كان يتحاشى الحفر ، خوفاً من أن يستولي النظام على أرضه ، يقول أبو حميد من مدينة منبج انه «أثناء الحفر لبناء بيتنا ، وجدنا الأرض توحي أن هناك آثار ، ولكن والدي عجل في صب الأرضية بالإسمنت المسلح ، خوفا من أن يصل الخبر للنظام ويقوم بوضع يده على الأرض ولم تكن الأمور متاحة للحفر في حينها».

ومن القصص (المضحكة – المبكية) ، العثور على تماثيل ذهبية صغيرة أثناء الحفر قرب المشفى الوطني بمنبج لتشييد بناء ، فجاء سائق الجرافة (التركس) لصاحب العقار عارضاً عليه الشراكة ، فما تم العثور عليه ثروة ، لكن صاحب العقار رفض ، وأخبر مكتب الآثار ليعتقله الأمن مدة شهرين ؛ ذاق خلالهما صنوفاً من العذاب بدعوى أنه سرق أحد التماثيل فمن المفروض أن يكون عددها مئة.

وكانت تنحصر فائدة البحث عن الآثار بيد مجموعة قليلة من المنتفعين ، ولا سيما في اللقى غير الذهبية ، فالسرقات الكبيرة يرتكبها رجال عصابات وشبكات منظمة ، لا تعطي المواطن إلا نسبة قليلة جداً. فأغلب الأهالي يعملون ويجدون آثاراً ، ولكن أرباح التجار أضعاف ما يحصل عليه المواطن البسيط ، وبعض شركاء النظام كانوا ينشؤون ورشات ويستخدمون بها عمال يعملون بيوميات ضئيلة لاتساوي الجهد والتعرض للمساءلة في حال خلافات بين الجهة التي تحمي هذه الورشة أو وشاية من جهة ثالثة (لم تأخذ حصتها من هذا المشروع) ، يكون العمال بالواجهة وهم من يتعرضون للمساءلة.

أما نوعية الآثار فبحر واسع يمتد من القطع النقدية الصغيرة مروراً بالتماثيل الصغيرة ولا ينتهي باللوحات الفسيفسائية الكبيرة ، فقد كانت منبج ، كما كل سورية ، مهداً لحضارات عدة ، فسميت منبج المدينة المقدسة وعرفت المدينة أوج ازدهارها زمن الرومان ، إذ عرفت المدينة أكثر من اندثار لتعود من جديد ، والرومان اعتنوا بها عناية خاصة ، وتدل بقايا الأقنية على ذلك ، وندر أن يخلو بيت في منبج القديمة من لقى أثرية ، ويركز الأهالي بحثهم عن اللقى الذهبية دون سواها غالباً على عكس الخبراء الذين يبحثون عن كل شيء.

وهناك عشرات المواقع خارج مدينة منبج ، يقول أحد خبراء الآثار في المدينة: «كانت منبج محجاً ومزدهرة ، وذلك لا يعني أن ريفها خال من الآثار بل هناك عشرات المواقع الأثرية المكتشفة مثل: تل عرب حسن ، جعدة المغارة ، تل العبر ، شاش حمدان ، صرين ،...» ، ولا يقتصر الأمر على المواقع المعروفة ، فأثبت الواقع أنّ كل القرى المسكونة حالياً تحتوي على آثار ، وتدل الحجارة الموجودة على ذلك ، فضلاً عما يعثر عليه الأهالي أثناء حفر الأساسات ، أو الآبار ، أو الحراثة.

ولا يجد سارقوا الآثار السورية صعوبة في التسويق ، سواء على مستوى اللقى الصغيرة أو على مستوى المجسمات الكبيرة ، يقول صدام ، وهو أحد المهتمين بالتنقيب إن «السماسرة في كل مكان ، ولكن السارقين الكبار لهم شبكاتهم وقنواتهم الخاصة بدءاً من سورية إلى تركيا فأوربا ، فآخر مشكلة تواجههم هي تأمين التسويق ، فالآثار السورية الحقيقية مرغوبة ، وفي الفترة الأخيرة كان

يقوم المالك لقطعة أثرية بتصويرها ويرسلها للسماسرة الذين يقومون بعملهم وإيجاد راغب بشرائها» وساعد على هذه السهولة غياب الدولة والهيئات الدولية الراعية ، فضلاً عن مساهمة رجال النظام - ولا سيما رجال الأمن - في هذه السرقة.

ويرى خبراء أن سرقة ونهب وتدمير بعض الآثار التاريخية في سوريا ، يعد أكبر تهديد للأعمال الفنية والآثرية منذ الحرب العالمية الثانية ، وكما يرون أن الكثير من التحف الاثرية هناك تباع عبر وسطاء الى خليجيين أثرياء من محبي جمع التحف.

إن سرقة الآثار هي ضياع للتاريخ السوري الذي لا يقدر بثمن ، وتشويه لمستقبلها ، فهذه الآثار دليل على تمازج الحضارات على الأرض السورية ، ودليل على إسهام السوريين في بناء الحضارة الإنسانية ، فآثار الإنسان في سورية تعود للعصر الحجري القديم الأدنى أي منذ حوالي مليون سنة ، ومن بلاد الشام انطلق الإنسان شرقاً إلى وسط وشرق آسيا ، وشمالاً إلى أوربا. وسبق أن قالها المؤرخ أندره بارو ، إنّ كل إنسان في العالم له وطنان: وطنه الأصلي وسورية» ، فالشعب السوري تكون من كل الشعوب التي نزلت هذه الأرض من كنعانيين وكلدان وأموريين وحثيين وآراميين وآشوريين وأكاديين وغيرهم وشكل الكل الفسيفساء السورية ، وترك الكل آثاراً تدل عليهم وعلى حضارتهم ، وبالتالي يخشى زوال جزء من هذا التاريخ بسرقة الآثار ، فالآثار السورية تختلف عن الآثار في بقية بلدان العالم بأنها للإنسانية جمعاء ، وبأنها تمثل التاريخ الإنساني.

ترجمة

حماية التراث الثقافي أثناء الصراعات: المهمة الصعبة لليونسكو

باريس (ا ف ب) – أدت الأحداث التي شهدتها سوريا والعراق وليبيا ومالي في الفترة الأخيرة إلى تسليط الضوء على المخاطر المتعددة التي تهدد التراث الثقافي خلال الأزمات، ومنها الهجمات المتعمدة، والأضرار الجانبية الناجمة عن أعمال القتال، وجشع تجار وجامعي التحف الفنية عديمي الضمير، وأعمال التخريب التي ترتكبها الفصائل الساعية إلى محو كل ما تم إنجازه من أعمال حضارية وثقافية في الماضي. كما وأظهرت هذه الأحداث الطابع المعقد لأي تدابير ترمي إلى حماية التراث الثقافي والمحافظة عليه.

أثناء النزاعات المسلحة الدائرة اليوم في مالي وسوريا، وتلك التي دارت أمس في ليبيا والعراق، تحاول اليونسكو بكل ما تمتلكه من وسائل محدودة، حماية المواقع الثقافية المعرضة ليس فقط للاعتداء وللتهديد بالتدمير الكامل وإنما أيضاً للنهب وللاتجار بالقطع الأثرية النادرة.

ومن المخاطر الكبيرة الأخرى التي تهدد المواقع الأثرية والآثار على حد سواء، استخدام هذه الأماكن لأغراض عسكرية واستهدافها، وهما أمران يحظرهما القانون الدولي، ولا سيما اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح (1954). وترفع المديرة العامة لليونسكو، إرينا بوكوفا، صوتها في هذه الحالات من خلال تصاريح تدعو فيها إلى حماية التراث الثقافي حيثما كان ذلك ضرورياً، وهو ما حصل حديثاً في حالة سوريا والعراق.

وفي نداء مشترك بشأن حماية تراث سوريا الثقافي والمحافظة عليه، عمد الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، والمديرة العامة لليونسكو، إيرينا بوكوفا، والأخضر الإبراهيمي الذي كان يتولى آنذاك مهام المبعوث الخاص المشترك بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية المعني بسوريا، إلى تسليط الضوء على هذا الخطر الكبير وعلى آثاره المدمرة. واعتبروا أن «تدمير آثار الماضي يحرم الأجيال المقبلة من إرث عظيم، ويزيد من مشاعر الحقد واليأس، ويعرقل أي مساعٍ ترمي إلى تعزيز المصالحة»، مضيفين أنه «آن الأوان لوقف الدمار وبناء السلام وحماية تراثنا المشترك».

وتبرز هذه التدابير، القناعة التي أعربت عنها المديرة العامة لليونسكو مراراً، ومفادها أن حماية التراث في فترات النزاع يجب أن تقترن اقتراناً وثيقاً بعملية توفير المساعدات الإنسانية، وبالجهود الرامية إلى إعادة الاستقرار. وتتيح هذه التدابير أيضاً تمهيد الطريق لتوفير الاستجابة الملائمة في الأجل الأطول، بعد الانتهاء من تلبية الاحتياجات الإنسانية الملحّة. ويُعد التنسيق فيما بين كل الجهات الفاعلة منذ المراحل الأولى من عوامل النجاح الرئيسية. ويرتكز عمل اليونسكو على توجيهات الجهات المعنية، التي تعمد المنظمة إلى التماس آرائها وخبراتها بانتظام. وتؤدي الجهات المعنية هذه أدواراً أساسيةً في إطار التصدي للأزمات. وهذا ما دفع باليونسكو، عندما تصاعدت أعمال العنف مجدداً في العراق، إلى عقد اجتماع طارئ للخبراء بشأن صون التراث الثقافي العراقي، شارك فيه خبراء عراقيون ودوليون، لوضع خطة عمل طارئة لحماية التراث الثقافي المعرض للخطر في البلد.

من الناحية النظرية، وقعت الأطراف المتحاربة اتفاقية عام 1954 التي تنص على حماية الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح، وعلى بذل جميع الجهود اللازمة والممكنة، للحفاظ على هذا التراث من ويلات الحرب. وفيما يتعلق بسوريا، تتسائل إرينا بوكوفا: «ولكن كيف لنا أن نحمي التراث في سوريا؟ إنها لمهمة مستحيلة، خاصةً وأننا لا نملك القوة العسكرية».

ووفقاً لما جاء في تصريحها، فإن اليونسكو تسعى من خلال حملاتها الترويجية وأنشطتها إلى إعادة تأكيد أهمية هذه المعايير الدولية، وضمان تطبيقها على الصعيد القطري، وتسليط الضوء على أن عدم الالتزام بها تترتب عليه آثار واسعة النطاق على صعيد الاستقرار والإنعاش والتنمية. وتعتبر اليونسكو من هذا المنطلق أن حماية الأرواح وحماية الثقافة أمران أساسيان ومترابطان في فترات النزاع. وفي الحالات التي يكون فيها التراث الثقافي معرضاً للخطر، وهو ما حصل في الفترة الأخيرة في سوريا والعراق ومالي، تسترعي المديرة العامة لليونسكو، انتباه الجهات والأطراف المعنية، إلى الضرورة الملحّة لحماية المواقع الثقافية والأثرية والمتاحف والمكتبات ودور المحفوظات، من الآثار المدمرة للحرب.

وكالة الأمم المتحدة ليست عاجزة تماماً. فيما يتعلق بمالي، تقول بوكوفا: «نحن قمنا بتنبيه مجلس الأمن بضرورة حماية التراث وفق ما جاء في القرارات المنصوص عليها في اتفاقية لاهاي الدولية لعام 1954». وهذه أول مرة تقر فيها المحكمة الجنائية الدولية، بأن ما يحدث في مالي من تدمير الأضرحة في تمبكتو، على أنها «جرائم حرب»، وتفتح تحقيق لتحديد هوية الجناة. وتمهيداً للتدخل الدولي في مالي، قام اليونسكو بطباعة 10.000 «جواز سفر للتراث». جوازات سفر حديثة مع صور الممتلكات الثقافية الواقعة في شمال مالي. وقد تم توزيع هذه الجوازات على الجيش

الفرنسي ، وهذه كانت سابقة لم تحدث من قبل.

أما في ليبيا ، «فقد قمنا بإعطاء حلف شمال الاطلسي ، الموقع الجغرافي لجميع المواقع التراثية» ، وفي الواقع ، وبحسب ما جاء على لسان فرانشيسكو باندارين ، المدير العام المساعد للثقافة في اليونسكو ، فإن المواقع الأثرية في ليبيا لم تعان كثيراً من الدمار أو السرقة.

الإتجار المنظم

لحقت بتراث سوريا أضرار كبيرة من جراء النزاع الذي يشهده البلد منذ أكثر من ثلاث سنوات. ورغم شجاعة المهنيين العاملين في مجال الثقافة والتزامهم بحماية تراثهم ، فإن نطاق الدمار والأضرار هائل فعلاً. ولا بد في الحالات التي تبوء فيها تدابير الوقاية والتخفيف من آثار النزاع بالفشل من أن يُجرى على سبيل الأولوية رصد متواصل وتقييم مبكر للأضرار بغية إعداد خطة سليمة ومنسقة لإنعاش التراث وإصلاحه في المستقبل. ولهذا السبب ، أنشأت اليونسكو على شبكة الإنترنت مرصداً دولياً لمتابعة حالة التراث الثقافي في سوريا ولدعم أنشطة التعاون الدولي من أجل حماية تراث البلد.

ويبدو أن الإتجار غير المشروع هو من أسوأ المخاطر التي تهدد الممتلكات الثقافية في العالم خلال فترات النزاع. فعندما تُمس سيادة القانون والنظام العام ، لا يصبح نهب المواقع الأثرية والمتاحف أمراً سهلاً فحسب ، بل يصبح أيضاً وسيلة تتيح للجماعات الإجرامية جني الكثير من الأموال. وتعمل اليونسكو بنشاط لوقف الإتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية في البلدان المعرضة لمخاطر

النهب مثل سوريا والعراق. وتقوم المنظمة بذلك بالتعاون الوثيق مع المجتمع الدولي ، ولا سيما البلدان المجاورة ، والمؤسسات المعنية ، وبخاصة المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (الانتربول) ، والمنظمة العالمية للجمارك ، والمركز الدولي لدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها ، والمجلس الدولي للمتاحف. وتعمد اليونسكو بصورة منتظمة إلى تذكير العاملين في أسواق الفن بواجبهم المهني والأخلاقي الذي يقضي بالتحقق من مصدر القطع الفنية المتداولة وبتيسير رد الممتلكات الثقافية المسروقة أو التي جرى التنقيب عنها بصورة غير مشروعة.

وبالنسبة لفرانشيسكو باندارين ،» فإن فقدان سيطرة الدولة يشكل خطورة كبيرة على التراث والمواقع الأثرية» كما كان الحال عندما نهب متحف بغداد في نيسان 2003 ومتحف القاهرة في كانون الثاني 2011. ويتابع قائلاً: «إن زعزعة استقرار الحكومات هو الذي يجذب على الفور انتباه الشبكات الإجرامية الدولية ، وبأن الإتجار بالسلع الثقافية يدر أرباحاً تتراوح ما بين 6 إلى 8 مليارات في السنة ، وهذا يمثل صناعة جنائية منظمة ، مثلها مثل الاتجار في المخدرات والأسلحة».

إن أخطر ما حدث في ليبيا ، هو اختفاء ما يسمى «كنز بنغازي» المتمثل بـ 8000 قطعة من العملات الذهبية والفضية تعود إلى العصر اليوناني ، وقد تمت سرقتها من أحد البنوك في بنغازي. وفي هذا الصدد يقول السيد باندارين «على الرغم من التحقيق الذي يجريه الانتربول ، لم يعد هناك أي أثر لهذه العملات». ويؤكد على أن تنظيم هذه السرقة تم بالتواطؤ مع أحد المسؤولين ، تماماً كما حدث في نهب متحف بغداد.

تحاول اليونسكو تجنب وضع مماثل في سوريا حيث «يتم تهريب القطع الأثرية من البلاد منذ عدة شهور.» وعليه ستقوم الوكالة بتنظيم اجتماع مع دول الجوار في عمان. بالنسبة للسوريين ، «نقوم بإعداد دورات تعلم عن بعد عبر الفيديو لحماية المتاحف». «ومن الصعب جداً الحصول على المعلومات. وعلينا أن نحصل على تصريح من النظام لزيارة المواقع الأثرية ، فنحن لسنا إلاّ واحدة من وكالات الأمم المتحدة ، وليس قوة عسكرية سرية».

أفضل وقاية ضد النهب والسرقة هو الدعم الذي يقدمه السكان المحليين مثل تمبكتو ، التي حشدت جميع الجهود لوضع معظم المخطوطات الشهيرة والنادرة بعيداً عن متناول الإسلاميين. أما الأضرحة التي تم تدميرها ، فسيتم إعادة بناؤها وترميمها بالاعتماد على المخططات والصور. ويجب الاستفادة من تجربة مالي لضمان الاعتراف الكامل بالإمكانات الهائلة التي يوفرها التراث الثقافي لتعزيز الحوار وتدعيم القدرة على الصمود. وبغية النجاح في هذا المسعى ، يجب أن نشجع كل الجهات المعنية ، والسلطات الوطنية ، والشركاء المعنيين بالتنمية ، والمهنيين العاملين في مجال الثقافة ، وكذلك الجمارك والشرطة وأسواق الفن ، على التعاون وعلى إعطاء الأولوية لحماية التراث الثقافي وإدارته.

المصدر: http://www.lexpress.fr/actualites/1/monde/proteger-les-sites-culturels-lors-des-conflits-difficile-mission-pour-l-unesco_1218710.html

تقرير صحفي صادر عن مجلة وكالة الأنباء الفرنسية

ترجمة: زويا منصور- فريق ترجمة ضوضاء

رأي

متحف معرة النعمان.. محاولات لإصلاح ما أفسدته الحرب

نور مارتيني

ما تزال جدران معرة النعمان شاهداً على تاريخ عريق ، وما تزال حجارتها تروي قصائد أبي العلاء المعري.

هذه المدينة التي تحتضن تراثاً إنسانياً ، يعود إلى ما قبل التاريخ ، فمدينة معرة النعمان تتوسط العديد من الأوابد الأثرية ، التي تعود لأقدم الحضارات التي عرفها التاريخ ، غير أنّ أهمّ ما يميزها هو متحفها الذي يعدّ أقدم متحف للفسيفساء ، في منطقة الشرق الأوسط.

ويعرف متحف معرّة النعمان ، تاريخياً ، باسم «خان مراد باشا» ، يقع في شطر المدينة الشرقي ، بوسط شارع أبي العلاء ، ويجاوره من الجنوب خان أسعد باشا العظم ، حيث تفصل بينهما حديقة بسيطة ، يتقدّمها تمثال نصفي لأبي العلاء ، ومن جهاته الأخرى مقرّات كانت تشغلها عدة دوائر رسمية قبل خروج النظام منها.

لقد طال الدّمار أجزاء كبيرة من المدينة ، منذ بدء الحملة العسكرية عليها منتصف 2012 ، غير أنّ طرفي النزاع تقاسما مهمة القضاء على آثار المدينة ، فالنظام كثّف قصفه على بعض المواقع الأثرية كالجامع الأموي ومتحف المعرّة ، فضلاً عن استخدام المتحف كثكنة عسكرية ، وما تسبّب به تواجد الآليات الثقيلة من خراب لهذه الأبنية ، فيما لم يحرص الجيش الحر والكتائب الإسلامية على هذه الآثار ، فتركها في كثير من الأحيان دونما حماية ، عرضة للسلب والنهب والتخريب ، كما أنّ بعض الفصائل المتشدّدة ، قامت بالاعتداء على بعض الأعمال الفنية ، بحجة أنها تتنافى مع قواعد الدين ، كقطع رأس تمثال أبي العلاء المعري ، على سبيل المثال.

لم يكن المدنيّ ، الذي لا يملك من أمره شيئاً ، بمنأى عن مسرح الخراب هذا ، حيث إن الكثير من الآثار تعرّضت للتخريب ، نتيجة استخدامها كبيوت للسكن ، من قبل النازحين الذين تقطّعت بهم السبل.

تنبّهت بعض جهات المعارضة لخطورة الوضع ، وبدأت جهودها للحدّ من هذا الخراب ، ولإعادة تأهيل بعض المباني الأثرية ، والذي افتتحته بمشروع لإعادة تأهيل متحف معرة النعمان.

تقوم مجلة ضوضاء في هذا العدد بتسليط الضوء على أهمية المتحف تاريخياً ، حجم الدمار الذي طاله ، وتغطية جوانب من عملية الترميم.

الأهمية التاريخية لمتحف المعرة

يعدّ متحف معرة النعمان ، أو خان مراد باشا ، واحداً من أهم المعالم الأثرية السورية ، والتي تعود إلى فترة تواجد الدولة العثمانية في سوريا ، حيث كان الخان محطة هامة ، تستضيف قوافل الحجاج القادمة من اسطنبول إلى دمشق ، ومن ثم إلى أرض الحجاز ، والتي كانت تعرف بقوافل الحج.

وكان المتحف ، سابقاً ، يضمّ عدداً من اللقى الأثرية ، التي تعود لمنطقة معرة النعمان ، حيث كان يعرض فيه ما مساحته 1600 متر مربع من الموزاييك ، أو ما يعرف باللوحات الفسيفسائية ، وثمة 400متر مربع أخرى كانت موجودة في المستودعات ، حيث تمّ تحويل الخان إلى متحف عام 1987م ، حتى إنّه وصل إلى مرحلة ضاق فيها بمحتوياته ، وبالمكتشفات الكثيرة من الآثار في المنطقة ، فضلاً عن أرضيته المرصوفة بالفسيفساء ، بشكل بديع.

عن الأهمية التاريخية لمتحف معرة النعمان ، يقول عمر ، مدرّس تاريخ من أبناء المدينة: «لقد تغيّرت وظيفة المبنى ، وتبدّلت عدّة مرّات خلال فترات تاريخية متعدّدة ، فتحوّل حيناً إلى ملحق للمسجد الكبير ، ومن ثم إلى سوق ، أصبح بعدها مخزناً بسيطاً ، قبل أن يصبح متحفاً وطنياً في عام1987 ، إذ قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في وزارة الثقافة ، بتحويل

الخان إلى متحف يضم اللقى الأثرية من منطقة معرة النعمان».

كما يوضح عمر أنّ «خان مراد باشا ظلّ مستمراً للغاية التي أنشئ من أجلها حتى أوائل القرن العشرين ، حيث بعثرت أوقاف هذا الخان وضعفت وارداته ، فتم ضمه إلى أوقاف الجامع الكبير في المعرة بناء على وصية الواقف ، المحفوظة في متحف المعرة ، والتي يعود تاريخها إلى عام /1321هـ/ ،وبدأ بتأجيره كأقسام لغايات مختلفة ، الأمر الذي أضر بالمبنى نتيجة الإهمال الذي لحقه من المستأجرين ، فعملت وزارة الثقافة (المديرية العامة للآثار والمتاحف) على استصدار مرسوم يقضي بترميمه ، ومن ثم تحويله إلى متحف محلي» ، موضحاً أنّه دُشّن كمتحف عام /1987/ ، ويكاد يكون مختصاً لعرض اللوحات الفسيفسائية ، المكتشفة في منطقة المعرة وما حولها لولا عرض بعض القطع الأثرية ضمن خزائن زجاجية ، غير أنّ النقطة الأهم هي أنّه «أكبر متحف للوحات الفسيفساء في سوريا وبلاد الشام ، لما به من لوحات نادرة».

حجم الخراب الذي طال المتحف:

حاولت كتائب المعارضة ، بعد خروج جيش النظام

رأي

من مدينة معرة النعمان ، أن تحافظ على هويتها التاريخية ، فما أن تمكّنت قوات المعارضة المسلحة من السيطرة على المدينة ، وإخراج قوات النظام من المواقع التي كانت تتمركز فيها ، ومن بينها متحف المعرّة الأثري ، والذي كانت قوات النظام قد حوّلته إلى ثكنة عسكرية ، حتى قامت الكتائب بتنظيف جدران المتحف ، ومسح الكتابات ، ومن بعدها جرد اللقى الأثرية ولوحات الموزاييك ، وإيداعها في المستودعات ، بغية الحفاظ عليها ، كان هذا في البدايات ، حين كان ثمّة ما يمكن إصلاحه ، ولكن الوضع اليوم لا يشبه سابقه ، على الإطلاق!

عن محاولات مسلّحي المعارضة (من كتائب إسلامية وجيش حر) حماية المتحف يقول أبو عمار ، أحد أفراد الجيش الحر: «حين أخرجنا قوات النظام من المدينة ، ودخلنا المتحف ، منظره كان يدمي القلب ، كل من دخل متحف المعرة لا يستطيع أن ينسى عظمة ما يحتويه من لقى أثرية ولوحات فسيفسائية تعود إلى ما قبل الميلاد ، لكن حين دخلناه ، كانت هنالك حفر في أماكن تمركز الآليات الثقيلة ، كما أن الجدران كانت مملوءة بكتابات من قبيل (الأسد أو نحرق البلد) وشتائم ، وسواها من العبارات التي اعتاد جنود النظام أن يملؤوا بها الحواجز» ، ويوضح أبو عمار أنهم سارعوا إلى محاولة تنظيف المتحف ، وترميم ما كان قابلاً للترميم بدون حاجة إلى خبراء ، وكذلك تعيين مجموعة من الأمنيين ، مهمّتهم حماية المتحف من السرقة ، وحراسة المبنى ، ويتابع: «كان بإمكاننا أن نحمي المتحف من السطو عليه أو سرقته ، ولكننا لم نكن نملك قرار إيقاف البراميل والصواريخ التي يطلقها النظام من طائراته».

إذ كانت الحملة الأمنية على مدينة معرة النعمان ، في صيف عام 2012 شرسة للغاية ، ففضلاً عن الأعداد الكبيرة من القتلى والجرحى ، والنازحين والمهجرين ، تمّ تدمير أجزاء كبيرة من المدينة ، وكان للمتحف نصيب من هذا الدمار.

وعن نتائج هذا الدمار ، يتحدث سليم ، ابن مدينة معرة النعمان «أزور صديقي المكلّف بحراسة المبنى ، من حين لآخر ، وقد شاهدت بعض صالات المتحف التي قد تضرّرت بسبب القصف ، نتيجة سقوط برميل أمام المتحف ، حيث تناثرت قطع زجاج النوافذ وبعض الواجهات التي تعرض فيها اللقى الأثرية ، من الأبنية السكنية الحديثة المجاورة له ، والتي تهدّمت نتيجة الانفجار ، مسبّبةً تحطم بعض المعروضات النادرة ، كما تحولت بعض القطع الخزفية التي تعود إلى نحو ألفي عام إلى قطع متناثرة ، وتحطّمت الأبواب الخشبية في المتحف نتيجة قوة الانفجار».

محاولات لإصلاح ما «أفسدته الحرب»

عن مشروع ترميم متحف معرة النعمان ، يتحدث الناشط «هاني» وهو واحد من الشبان العاملين في عملية الترميم ، والذين اتبعوا دورة تدريبية أقامتها وزارة الثقافة في الحكومة المؤقتة: «لقد خضعنا لدورة تدريبية في تركيا على كيفية الحفاظ على الآثار ، وكذلك ترميم ما يمكن ترميمه باستخدام تقنيات بسيطة ، كإعادة قطع الموزاييك التي تناثرت ، أو ترميم فجوات في الجدران» ويؤكّد هاني أنّ المعلومات التي تلقها هي معلومات بسيطة ، غير أنّ ما ساعدهم هو أنّ العاملين في المشروع ، هم من العاملين أصلاً في المتحف ، وبالتالي شاركوا القائمين على المشروع خبراتهم ومعارفهم ، التي اكتسبوها من خلال سنوات عملهم.

يضيف هاني: «عملنا يقتصر على سد الفجوات التي تسببت بها القذائف ، خاصة في أسقف المبنى ، والجدران المتهدّمة ، بحيث تتمّ إعادة تاهيلها ، ومن بعدها نضع سواتر رملية لحمايتها ، في حال جرى استهدافها مرّة أخرى ، ولكن هذا جلّ ما

نستطيع تقديمه من حماية للمتحف ، حدود إمكانياتنا هو حماية اللوحات بأكياس رملية ، منعاً لتناثر قطع الفسيفساء التي نعمل على إعادتها لأماكنها ، مرة أخرى».

من ناحيته ، يقول مصطفى السعيد ، قائد لواء مغاير التوحيد ، والمكلّف بحراسة مبنى المتحف ، والإشراف على عملية الترميم: «حين أرغم النظام على إخراج قواته وآلياته من متحف المعرّة في عام 2012 ، قمنا بفرز عناصر من أبناء المحافظة المثقفين ، مهمّتهم حراسة المبنى ، وجرد مقتنياته بغية حفظها من السرقة او التلف ، ومن يومها ونحن نقوم بحراسة المبنى».

ويؤكد «السعيد» على أنه ، واظب وزملاءه على حماية المتحف من مخاطر السلب والنهب ، من جهة ، ومن الخطر الذي قد تشكّله الكتائب المتطرّفة على مقتنيات المتحف ، التي تعود إلى عصور سحيقة ، حيث ترى هذه الكتائب أنّه يجب تحطيمها ، ضمن منظومة تحطيم الأوثان ،ويوضح أنهم بمجرّد تواصلهم مع وزيرة الثقافة السابقة في الحكومة المؤقتة «تغريد الحجلي» « قامت بالتعاقد مع عشرة من العاملين في المتحف ، والذين انشقوا عن النظام ، وعشرة موظفين أمنيين ، وأخضعتهم لدورة تدريبية ، بإشراف المهندس (أيمن نابو) ، كما اطّلعت على مشاريع سابقة أنقذها العاملون في المتحف من التلف أو السرقة ، ووعدت بتنفيذها ، غير أنّ أعمال الترميم توقفت بسبب إيقاف رواتب العاملين في المشروع ، بعد أن تسلّمت المنصب وزيرة أخرى».

أما عن نسبة الدّمار في المتحف ، فيوضح «السعيد» أنّ نسبة الدمار في المبنى تصل إلى 30% ، وأنّ الأمنيين الذين تمّت إيقاف رواتبهم ، ما زالوا يزولون عملهم كما في السابق ، إلا أنّ عمليات الترميم وإعادة التأهيل ، هي التي توقفت.

جدير بالذكر أنّ منظمة اليونسكو ، وعلى لسان مديرها ، قامت منذ عام 2013 بالتحذير من الواقع المزري الذي آلت إليه أحوال الآثار في سوريا ، الآثار التي وصفتها بالغنى والتنوّع ، وأوضحت خلال بيانها أنّ «هذا الغنى مهدّدٌ اليوم بسبب الأزمة التي تدور رحاها في البلاد ، إذ تتعرض الأوابد السورية للتعديات والانتهاكات ، فقد تعرضت الكثير من المدن السورية القديمة لأضرار وتدمير ، وشُوهت قلاع وأبنية أثرية تمتاز بقيمتها الكبيرة ، ليس لتاريخ سوريا فقط ، بل لصفحة كاملة من تاريخ البشرية».

لماذا حملة طفلة لا زوجة ؟

لماذا يجب حماية طفلات سوريا من قدر تزويج القاصرات؟ لأن تزويج الطفلات وخاصة من هن دون سن ١٦ عاماً :

١. يسبب أذى على جسم القاصر لعدم اكتمال نموها، فكم من طفلة ماتت ليلة زفافها بسبب النزيف، تهتك الأعضاء، وتمزق الرحم. كل ذلك من تأثير العنف، وصغر الجسم، وضعف بنيته.

٢. لو استطاعت القاصر الحمل، فسيكون ذلك خطراً على جسمها، يمكن أن يؤدي إلى موتها وموت الجنين.

٣. وإن وصلت إلى مرحلة الولادة، فاحتمال وفاة المولود في الأيام الأولى ٥٠٪ مايعني أن نصف المواليد يموتون، وإن عاش المولود فسيكون ضعيفاً معرضاً للمرض طوال حياته.

٤. ولأن القاصر عند تزويجها، تتعرض لأزمات نفسية كثيرة بسبب المرور بتجربة الجنس القاسية في سن صغيرة.

٥. أغلب حالات تزويج القاصرات لا تستمر بسبب عجز الطفلة عن منح الرجل ما يريده، ولأنه يمل منها بعد فترة قصيرة.

٦. الأم القاصر تعجز عن تربية طفل متوازن بل تعرضه لأمراض التوحد والانعزال والخوف و العصاب بأنواعه لأنها تتعامل معه بقلق وخوف وعدم معرفة.

٧. كل تلك الأشياء تعيد القاصر إلى بيت أهلها لكن كمطلقة حيث تتضاعف أزماتها و مأساتها التي تصيب أيضاً الطفل والعائلة والمجتمع

وزر تزويج الطفلة أمام الله في عنق أبيها أو أخيها أو من زوجها، حين يتركها دون حماية بين يدي شخص لا نعرف ما الذي يمكن أن يفعله بجسدها، وهي لا تستطيع الدفاع عن نفسها.

رأي

الحقوق في الدولة الحديثة حيث لا حق للقوة

سحر حويجة

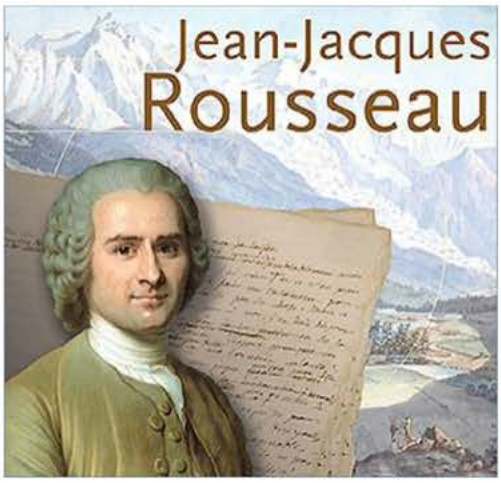

على الرغم من الحديث الذي يدور عن مساعٍ لإيجاد حل للوضع السوري ، والبدء بعملية الحوار لإنهاء العنف ، إلا أن المبادرات المطروحة مازالت ضمن دائرة جس نبض الأطراف المختلفة ، على أمل تحصيل تنازلات تمهّد سبل الحوار لصالح هذا الطرف أو ذاك وفقاً لرغبة أصحاب المبادرة ، هذا ما يمكن أن توصف به كل من المبادرة الروسية ، بعد أن خرجت الأمور من يد السوريين ، إلى بازار القوى الدولية والإقليمية الداعمة لأطراف الصراع. ومهما كان أمر هذه المبادرات ، فلن ينجح حوار لا يؤسس لبناء دولة حديثة ، قد تطيح برؤوس ، وقوى لا يمكن أن تقبل بها ، بل معول هدم يهدد وجود هذه الدولة.

تعيش سوريا حالة من الانقسام الحاد اجتماعياً ، سياسياً وعسكرياً ، مجزأة بين سلطات ناقصة السيادة والمشروعية ، حيث أصبح قانون القوة والاحتكام إلى السلاح هو السائد وله الكلمة العليا. هذا ما يجري على الأرض في المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام ، حيث يقوم في كل مرة فصيل عسكري بالإجهاز على فصيل آخر بالعنف ، على أنه سبب الفساد المستشري ، وقد يصل الأمر حد اتهامهم بالعمالة للنظام لتبرير إنهاء وجودهم ، هذا ما حصل بين جيش الإسلام وجيش الأمة في الغوطة الشرقية ، وقبل ذلك بين النصرة والجيش الحر في ريف إدلب ، وقبل الجميع بين داعش والفصائل المقاتلة ، والغاية واحدة هي الاستئثار بالسلطة من قبل جهة واحدة وإلغاء الآخرين ، ونشر الخوف بين الأهالي ، ورفض الآخر ، دون اعتماد أية مرجعية شرعية أو قانونية إلا المصلحة الخاصة والفئوية ، في سعي محموم لإلباس القوة والإكراه والقسر مظهر الحق.

أما في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام ، فإن مظاهر العنف ، سواء الكامنة منها أم الظاهرة التي تنتشر في كل مكان حيث الكلمة العليا للقوة ، وتقتصر مراجعة المحاكم على قضايا الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ، تنتهك الحقوق في كل لحظة ، وأهمها حق الحياة والحرية والتملك ، هذه الحقوق التي ينظر إليها كجزء من قوانين الطبيعة ومن الحقوق الأصلية للفرد.

هكذا تحول المجتمع والفرد الذي يسحق إلى ضحية القوة ، بدلاً من أن يكون سيدها ، كما أن استهجان الجريمة والمطالبة بالحق في مواجهة واقع فظ يبدو غير مجدٍ ، إذن كيف للحق أن ينتصر على القوة في حال تغييب المجتمع وتغييب رأي عام مطالب بالحق كشرط لتحقيقه ، على اعتبار أن المجتمع هو مصدر الحق وقوته ؟

منطق القوة في الصراع يهمش المجتمع ويذرّه إلى أقصى الحدود ، ويبرزه عاجزاً أمام قوة السلاح وقادته ، الذين يستخفون بالمجتمع ، أو ينظرون إليه بتعالٍ ويفرضون شروطهم عليه. كل ما يجري يتعارض مع مرتكزات الدولة الحديثة ، حيث يكون الشعب مصدر السلطات والإنسان غايتها. المفكر الفرنسي «جان جاك روسو» قال في مقدمة العقد الاجتماعي أن لا حق للقوة.

إن الدولة في المجتمعات الحديثة هي القوانين والأجهزة والمؤسسات التي تعني الاستمرارية بمعزل عن الحكام الأفراد الذين يتغيرون ، أما في دولنا فمازال الحاكم يمثل كل شيء ، هو الذي يمسك بالمؤسسات ، ويبقى كل شيء مرتبطاً بإرادته ومزاجه ، وتنتهي الدولة بانتهائه ، أما المعارض فهمه الاستيلاء مكان الحاكم ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعنف.

ما تحتاجه بلادنا هو دولة الحق والقانون ، التي تطلق على الدول الحديثة ، دولة تكون العقلانية أساساً لها ، تنطلق من مفاهيم مثل الحريات العامة والخاصة ، وحقوق الإنسان والديمقراطية التي يؤكدها العقل ، في هذه الدولة تصبح السياسة علم الممارسة المعتدلة ، حتى لا يلغي الواحد الآخر ، وحيث لا يمكن لفئة الاستئثار في السلطة.

ينظر إلى القانون في هذه الدولة على أنه أساس المجتمع ، يسود على الحاكم والمحكوم ، على اعتبار أن القانون بطبيعته موضوعي وعقلاني غير شخصي ، يعارض ما يعتري الإرادة الفردية والمزاج في حكم الاستبداد. ومن صفات هذا القانون: أن يحقق المساواة بين الأفراد على الرغم من اختلافاتهم ، حيث يتم إحلال سيطرة القانون بدلاً من سيطرة إنسان على آخر ، لأن الإنسان الحر لا يسعه أن يسيطر عليه إنسان آخر ، ولا يخضع إلا للقانون ، فلابد أن يكون القانون مستقلاً عن كل سلطة ، والقانون هو من ينظم الدولة ويبين وظائفها. دولة تقوم على النظام الدستوري المبني على التعاقد والتفاعل بين دولة الحق والقانون وحماية الحرية الفردية وفكرة المساواة في الحقوق وفكرة سيادة الشعب التي تشكل أساس دولة القانون ، التي غايتها الحق.

إن ضمان الحقوق التي قامت عليها الدول الحديثة ، كان نتيجة مشروعيتها على أساس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، والمواطن. هي ثمرة تطور الفكر الليبرالي الذي يؤكد على العلم ضد الغيب ، وعلى الحرية ضد الاستبداد ، وعلى أولوية الفرد ضد سحقه من المجموع.

كل هذه المبادئ ، التي تقوم عليها الدول الحديثة ، والتي نحتاج إليها في بناء دولة جديدة في مواجهة قوى الاستبداد والإلغاء ، لابد لها من حامل سياسي ، اجتماعي واقتصادي ، يتشكل من قوى لديها القدرة على مواجهة واقع الانقسام الاجتماعي والتطرف ، التشدد الفئوي والمذهبي والطائفي ، المصالح الخاصة ، الاستبداد والعنف ، والعمل على إعادة السياسة للمجتمع ، وإلا بقينا خارج العصر.

رأي

التقسيم الدولي للعمل ونظرية المزايا النسبية في الإنتاج

أحمد إلياس

تقوم التجارة الدولية على مبدأ هام وأساسي ، هو مبدأ التخصص على أساس المزايا النسبية ، ويعنى بذلك أن يقوم كل بلد بالتخصص في إنتاج السلع التي يمتلك فيها ميزة نسبية من الإنتاج الأكبر والتكلفة الأقل في جوٍ تامٍ من الحرية التجارية والمنافسة الكاملة. وترجع نظرية المزايا النسبية (Comparative Advantages) في صياغتها الأولى إلى الاقتصادي الكلاسيكي البريطاني ديفيد ريكاردو 1772 – 1823.

لتقريب مبدأ الميزة النسبية من الأذهان ، يمكن طرح الافتراض الآتي وفقاً لريكاردو: لنفترض أن انكلترا قادرة على إنتاج كل من سلعتي الطحين والقماش ، بتكلفة أربعة طن لكل ساعة عمل للطحين ، وثلاثة أمتار من القماش لكل ساعة عمل ، بينما تنتج البرتغال الطحين بتكلفة طنين لكل ساعة عمل ، والقماش بتكلفة مترين لكل ساعة عمل. فأنه وعلى الرغم من أن تكاليف الإنتاج في انكلترا هي الأقل بالنسبة للسلعتين ، فإن البرتغال تملك ميزة نسبية في إنتاج القماش على خلاف الطحين ، ويكون من مصلحة البلدين أن تتخصص انكلترا في إنتاج الطحين بينما تتخصص البرتغال في

إنتاج القماش ، وبذلك يستفيد البلدان من مزايا الإنتاج الكبير والتكلفة الأقل عبر التبادل التجاري. وهذا التخصص في الإنتاج بين مختلف البلدان ، كما في الفرضية السابقة يعني خلق تقسيم دولي للعمل ، من شأنه توجيه مركّز لعنصري رأس المال والجهد البشري إلى القطاعات الأكثر إنتاجية والأكثر ربحية ، ويستتبع ذلك بالتالي زيادة الطاقة التصديرية للبلد ، وتحقيق وفر كبير في ميزان المدفوعات يمكن استخدامه في عملية التنمية.

لايزال التقسيم الدولي للعمل المستمد على الميزة النسبية أساساً في برامج المنظمات الاقتصادية الدولية المفروضة في عمليات الإصلاح الاقتصادي للبلدان النامية الراغبة بالمشاركة في الاقتصاد العالمي ، وهو ما يطرح التساؤل حول صلاحية هذا التقسيم المزعوم ؛ آخذين بالحسبان سلامة مبدأ المزايا النسبية من الناحية التاريخية ، ومن حيث التطورات الاقتصادية المعاصرة التي انعكست بدورها على التقسيم الدولي التقليدي للعمل ووضع البلدان النامية بهذا الصدد.

التقسيم الدولي التقليدي للعمل بين البلدان المتقدمة والنامية ارتبط بوضع هذه البلدان الأخيرة في النظام الاقتصادي الدولي ، وطبيعة علاقاتها الاقتصادية مع الخارج ، حيث تخصصت البلدان المتقدمة بالإنتاج الصناعي ، بينما بقيت البلدان النامية كمناطق لإنتاج المواد الخام وكسوق لاستهلاك المواد المصنعة كأحد مخلفات المرحلة الاستعمارية. ويعلق المؤرخ البريطاني كالور سيبولا على هذا النمط المكرس من التقسيم الدولي للعمل قائلاً إن «من حظ بريطانيا أنه لم يظهر ريكاردو هندي ليقنع الإنكليز أن من المفيد لهم طبقاً لمبدأ المزايا النسبية أن يتحولوا إلى رعاة أغنام ، وأن يستوردوا من الهند كل ما يحتاجونه من منسوجات». ويدل هذا القول على أن صناعة المنسوجات كان يجب أن تتركز في الهند لأنها كانت تملك ميزة نسبية أكبر من بريطانيا ، إلا أن الأخيرة بعد دخولها الثورة الصناعية واستعمالها الآلة في عملية الإنتاج فرضت قوانين صارمة لحماية صناعاتها النسيجية من المنافسة الخارجية مع حظر تصدير الماكينات إلى الخارج.

بعبارة أخرى ، التقسيم الدولي التقليدي للعمل استند بالدرجة الأولى إلى مبدأ القوة وإلى تاريخ من القسر بين الطرفين بعيداً عما يملكه كل بلد من مزايا نسبية. والقول بغير ذلك يعني الحكم على البلدان النامية

بالبقاء أسيرة للتبعية والتخلف والفقر بموازاة التطور في البلدان المتقدمة التي تُعيد تقسيمات العمل بينها في ضوء التقدم العلمي والتكنولوجي. وأن سياسة إحلال الواردات كانت رداً من قبل البلدان النامية على هذا التقسيم ، عبر تعديل هياكلها الاقتصادية وبنيانها الإنتاجي ؛ لعلمها أن علاقاتها الاقتصادية الخارجية لن تحقق لها مثل هذا التعديل الذي من شأنه أن يؤدي إلى قراءة جديدة لموازين مدفوعاتها.

كما أن مجموعة التطورات الجارية في الاقتصاد الدولي في ظل موجات العولمة العابرة للحدود تطرح مجموعة من التساؤلات حول فعالية مبدأ المزايا النسبية ، إذ يذهب العديد من علماء الاقتصاد إلى نفي صلاحية مبدأ المزايا النسبية حالياً ، والتشكيك بصلته بالنمو الاقتصادي ، وهي نتيجة تكرس دراسات وتجارب العديد من البلدان وصولاً إلى نفي صلاحية المبدأ الذاتية وعده أداة إيديولوجية غير قائمة على تفسير علمي ، ويسودها مغالطات منهجية وفساد في الاستدلال بهدف تسويقها وحسب ، استناداً إلى مايلي:

- إن مبدأ المزايا النسبية يقوم على اختصاص كل بلد بإنتاج سلع معينة تبعاً لما يتمتع به من مزايا عن البلدان الأخرى ، وهو الأمر الذي لم يعد متوفراً في ظل تدويل الإنتاج. فالسلعة الواحدة لم تعد تُنتج في بلد معين ، وإنما يتم تجزئة مراحل إنتاجها في مناطق عديدة ، وتنتشر المصانع العاملة شمالاً وجنوباً قبل أن يتمّ تجميع مكونات الإنتاج في بلد معين ، وهو ما يطلق عليه تقسيم العمل داخل السلعة الواحدة ، بحيث لم يعد بالإمكان القول إن منتجاً معيناً هو إنتاج كامل لبلد معين ، بل هناك تقسيمات للعمل ضمن نطاق إنتاج السلعة الواحدة.

تتمة ص 24

رأي

مآسي السوريين بعدسة تركية

مقداد خليل

المخرجة التركية الشابّة (أيلم شَن) المقيمة في مدينة إزمير، لديها اهتمامٌ واسعٌ بالشأن السوري، وخاصّةٍ بعدما عاينت عن كثب مآسي بعض النازحين السوريين، واستمعت إلى قصصهم حول ما تعرّضوا له داخلَ سوريا وشاهدوه. هذا الاهتمام أيضاً جعلَ هاجسَها لشهور صناعةَ فيلمٍ تسجيلي يعرضُ ويوثّقُ بكثافة مقاطعَ من حياةٍ يوميّة تتّصلُ بذاكرةٍ لا ترقد. أرادت (أيلم) أيضاً أن تكثّفَ رغبتَها في العمل التسجيلي من خلال الرصد الممكن، معتمدةً على كادرٍ وأدواتٍ بسيطة جابَت في خطّة سيرِها مدناً ومواقعَ متباعدةً في تركيا، حيث التقَت من السوريين التنوّعَ الذي يُحكى عنه في الأثنيّات والأديان والمذاهب، ووجدت الهمَّ لا ينفصمُ بينهم، أوإنّه عنصرٌ يجتمعون حوله.

رأت في حركة النزوح ما يشبه هجرةَ الطيور، اختارت العصفورَ – الطائرَ الضئيلَ – عنواناً لفيلمها، فهم في قفصهم لاجئون ونازحون في أراضي اللجوء والمنازح، وجسدُ النازح السوري أمسى قفصاً لقلبه، وآزرَ اختيارَ (أيلم) أغنيةُ مارسيل خليفة الشهيرة المؤدّاة بصوت أميمة الخليل (عصفور طل من الشبّاك) العنوان، فكان لا شكّ فيه أو ارتياب. فخلالَ (20) دقيقة تُحكى سيرةُ النزوح السوري ومأساةُ سوريا على ألسنة عربٍ وكردٍ وشركسٍ وأرمن من سوريا، إضافةً لمساهمات المتعاطفين من الترك.

تصاحبُ مقدّمةَ الفيلم هدهدةُ أمٍّ لطفلتَها داخلَ حُجرةٍ تأوي أُسرةً: «يا الله تنام ندبحلا طير الحمام» هدهدةٌ تقليديّة، لكنّها تبدو قاسيةً في فحواها إذ تغوي الأمُّ طفلتَها بالنوم لتكافئها بنحر حمامة! وراءَ نافذةٍ مسيّجة طفلٌ باسمٌ يمدُّ يديه عبر القضبان، يقولُ واهماً أو مازحاً بأنّه كان يحوزُ مسدّساً في سوريا، وقد قتلَ به أحدَهم (في إشارة إلى انتشار قصص القتل، وعدم اقتصار مشاهدتها والسماع بها على الكبار). امرأة تنظرُ إلى الجبال وتتذكّر الأرضَ السوريّة القابعة خلفها، وتتذكّر كلمات الأغنية: «يا جبل البعيد خلفك حبايبنا».

مشاهد أرشيفيّة من قصف المدن والقرى، وأخرى لإسقاط تمثالٍ لحافظ الأسد، يرافقُ ذلك غناءُ أميمة الخليل لأغنية (عصفور طل من الشبّاك)، تحاولُ المخرجةُ أن تشيرَ إلى ممهّدات النزوح واللجوء معتمدةً على أرشيفٍ مختزل. مشهدٌ آخرُ عنيفٌ من الأرشيف، فيه يقومُ متطرّفون بإعدام رجالٍ مدنيين جثاةٍ رمياً بالرصاص في أقفيتهم. لاجئان يتحدّثان عن تجربتهما المريرة في دخول الأراضي التركيّة من خلال اجتياز الحواجز الشائكة والفُسَح الملغومة. تعودُ أغنية العصفور إلى الصعود مجدّداً، تصعدُ معها الكاميرا ببطء حتّى تنتهي إلى قفصٍ صغيرٍ منصوب أعلى الجدار، وفيه طائرٌ مفرَدٌ حبيس. داخلَ مكتبٍ يبدو مرتفعاً، نافذتُه واسعة، رجلٌ سوريٌّ، مهندس متخرّج من إحدى جامعات كرواتيا قبل أكثر من (25) سنة، عاش في حلب إثرَ رجوعه من كرواتيا، والآن مأساةُ سوريا أرغمته على النزوح شمالاً برفقة ابنه. شهاداتُ سوريين عن معاناتهم في هاتاي وأنطاكيا. امرأة تتذكّر، كانت قريتُها تقع في ريف حماة محاطةً بالجبال، ولمّا بدأ طيرانُ النظام بقصفها كان عمرُ ابنتها أقلّ من (20) يوماً، ما اضطرّها للنزوح إلى تركيا بعد أيّام قلائل، وبسبب فقرها المدقع قامت بتنظيف وتوضيب حظيرةٍ ريفيّة لتسكن فيها مع أطفالها. امرأة أخرى في الريحانية خوفاً على أولادها، ولجت المجهولَ، ورأت بؤسَ الكثير من الأُسَر السورية (خلال حديثها تتنقّلُ الكاميرا ملتقطةً مظاهرَ متفرّقةً من معاناة اللاجئين)، تؤكّدُ المرأةُ على حاجتهم الماسّة للرعاية. سيّدة تركيّة عضوة في جمعيّة دعم إنسانيّة تتكلّم عن ضرورة تقديم المعونات للاجئين، وتسردُ تفاصيلَ عن معاناتهم وعن المهمّة غير اليسيرة الملقاة على عاتقهم، وأثناءَ كلامها؛ الكاميرا تنشغلُ بأطفالٍ ترصُدهم من بعيد واقفين داخلَ بابين خارجيين متجاورَين، تلوّحُ عيونُهم بالبهجة رغم كلّ شيء للعدسة ومَن خلفَها. فجراً، أربعةُ شبّانٍ يقتعدون شرفةً في منطقة (بسمانه) بإزمير، ورجالٌ في الأسفل في صفٍّ يفضي إلى نافذةٍ تتبعُ مسجداً هناك يحملون صحوناً تمتلئُ بالطعام حالما يصلُ عاملَ المسجد، يعودون بالصحون المليئة ليجلسوا إلى طاولاتٍ شاغرةٍ في حديقةٍ خارجيّة للمسجد. (إيمينونو) إستنبول، أُسَرٌ محتشدةٌ داخلَ جدرانٍ مُخَدَّشة مهترئة، فتاةٌ محدّقة في العدسة تتشبّثُ بسياج نافذة. أُسرةٌ كثيرةُ الأفراد تعاني، النسوة يعملنَ بأسعارٍ بخسة، كبراهنَّ مطلّقةٌ معيلة. شابٌّ يعملُ في مشغلٍ لترميم العجلات يبتسم ويقارنُ ما بين العيش في سوريا وتركيا، ويريدُ العودةَ ليستكملَ دراستَه، شابٌّ آخر يعملُ صانعَ حلوى تترصّده الكاميرا أثناء عمله. خارجَ أحد الأبواب اكتظاظٌ بالأحذية، عبرَ الباب المفتوح يتجلّى الداخلُ المزدحم بالأشخاص، وبإمكان الرائي أن يتخيّلَ حجمَ الأحاديث والمشاعر هناك. يظهرُ نازحون ليتحدّثوا عن صعوبة تأمين العيش، وانعدام العمل، أطفالٌ عديدون يتحرّكون داخل البيوت، مجدّداً تتناهى الهدهدة: «يا الله تنام».

تتمة ص 24

تتمة

التقسيم الدولي للعمل ونظرية المزايا النسبية في الإنتاج

- إن اختراع البدائل أدى إلى إفقاد البلدان النامية مزاياها النسبية في إنتاج المواد الخام الأولية وتصديرها ، إذ أن البلدان المتقدمة باتت قادرة على إنتاج البدائل بوفرة وبأسعار أقل ، إلى جانب استخدامها العلم والتكنولوجيا الحديثة في إنتاج سلع كانت تصدرها البلدان النامية تقليدياً «كالمنسوجات». بعبارة أخرى ؛ التكنولوجيا الحديثة باتت عاملاً لمنح المزايا النسبية وتقريرها لصالح بلدان لم تكن تتوافر فيها أصلاً.

- لا يمكن إنكار دور رأس المال الدولي في منح المزايا النسبية لمنطقة أو بلد معين لإنتاج أنواع من السلع. ونظراً إلى أن رأس المال قابل للتحرك وراء الحدود بسرعة مذهلة في ضوء تحرير أسواق المال ، فإن المزايا النسبية باتت قابلة للانتقال تبعاً لانتقال رأس المال ذاته. وبمعنى آخر ، فإن المزايا النسبية لم تعد تتحدد وفق إمكانات البلدان ومواردها ، وإنما بقرار من رأس المال الدولي والشركات المتعددة الجنسيات وحسب احتياجاتها.

بالنتيجة ، فإن التقسيم الدولي الجديد للعمل فقد صلته بمبدأ المزايا النسبية ، وهذا المبدأ الأخير ليس قابلاً للتطبيق دائماً ، وإن مجرد التركيز على الإنتاج بغرض التصدير لا يخدم عملية التنمية ؛ لأنها تنطلق أساساً لتلبية حاجات الأسواق الخارجية وليس السوق الوطنية ، وتجعل القدرة الإنتاجية للبلد مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية للبلدان المستوردة ، وتعرض العملية التنموية لخطر الصدمات الخارجية التي اتسع مداها وخطورتها في ضوء عولمة الاقتصاد وتدويل الإنتاج وتحرير أسواق المال الدولية.

كما أن عملية الإنتاج في ظل الاقتصاد التصديري تتم بغرض الربح والسعي نحو تعظيم العائد وفق متطلبات رأس المال العالمي والشركات المتعددة الجنسيات ، ولا علاقة لهذه الأطراف بعملية التنمية. وهو ما يؤدي إلى تعميق ازدواجية الاقتصاد الوطني نتيجةً للاهتمام ببعض القطاعات دون بعضها الآخر ، ولاسيّما أن الصناعات التصديرية التي يتم التركيز عليها في بلدان الجنوب النامية هي الصناعات التي يمكن إنتاجها بأكبر قدر من القيمة المضافة ، وبأقل قدر من التكاليف ، ولو تم ذلك على حساب مقومات أخرى.

تتمة

مآسي السوريين بعدسة تركية

إزمير- أوتوكار- ساحة ضيّقة قريبة من الكراج الرئيسي للحافلات ، يجتمعُ أطفالٌ سوريّون بغرض التسوّل عند إشارة المرور ، يبدون في مرحهم وكأنّهم يلعبون. رجلٌ يرسم على حائط بيته بجانب مرآةٍ واسعة. صبيٌّ يقتعدُ كرسيّاً في صدر غرفة وعلى جانبيه أطفالٌ ، يقولُ بأنّ سوريا كانت أفضل ، فهنا لا يتقنون لغةَ البلاد ، ولكن هنا مفاضلةً في الأمان أحسن. المهندس السوري يريد أن يكون سلام ، فيرجعَ إلى داره ، امرأةٌ فقيرة تتمنّى أن تنتهيَ الحرب ، الطائرُ المغرّدُ في قفصه وأغنية العصفور ، أطفالٌ يتداولون الكرّاسات يتعلّمون ، دفاترُ وأقلامٌ وخجل ، المرأة التي كانت تتذكّر واقفةً نصبَ الجبل تتحدّثُ عن الحنين والعودة.

لقطةُ الختام إشارةُ النصر تمتدّ بإصبعين ، صاحبُهما خفيٌّ وراء جدار ، كاميرا ثابتة وإصبعان ثابتتان فيما ينتهي الفيلم.

صورٌ فوتوغرافيّة مميّزة ملحقة بالفيلم: أطفالٌ حيويّون في صورٍ عديدة ، امرأة واقفة في طابعٍ رسميّ حاملةً طقمَ زفافِ زوجها الغائب على مشجبٍ لصقَها ، وشومٌ سوريّةٌ تغطّي ظهرَ أحد الشبّان ، فتاةٌ قريبةٌ داخلَ بابٍ موارب.

لغةُ الفيلم تماشياً مع شخصياته توزّعت على ثلاث: العربية والكردية والتركية ، إضافةً لترجمة العربي والكردي إلى التركية.

رد صور المقاومة على الغارة الإسرائيلية في القنيطرة
عمو هاد ضربني....
ولا يهمك حبيبي
بكرا بنضرب المرنيس
بحلب..
2015

تحقيق

حملة «طفلة لا زوجة»
سوريون يواجهون ظاهرة تزويج القاصرات في ظل الحرب

مجيد محمد

فرضت الحرب في سوريا ظروفاً من الفقر، وتفتت اللحمة الاجتماعية بسبب النزوح واللجوء، وانسلاخ الاسرة عن محيطها المتكافل، إضافة الى غياب المعيل قتلا واعتقالا وإعاقة وتشريداً، وبات الفرد السوري والاسرة السورية عرضة للاستغلال والانتهاك من كافة الجهات وبكافة الاشكال. وعودة الكثير من العادات االسيئة للظهور. ومنها ظاهرة تزويج القاصرات، التي انتشرت وتفاقمت بشكل كبير في المجتمع السوري. وبات من الضروري والملح مواجهتها، عبر التحشيد والجهد العام، لأنها كما يصفها «محمد ملاك « رئيس تحرير مجلة سيدة سوريا التي اطلقت حملة «طفلة لا زوجة»، تعتبر جريمة لا تقل خطورة عن صور المأساة الأخرى التي يمر بها السوريون منذ سنوات أربع. كتجنيد الأطفال، والعنف الذي يغزو المجتمع، ومبتوري الأطراف، وغيرها. وكجزء من الجهد العالمي في مواجهة الظواهر الاجتماعية القاسية والمدمرة، حيث يؤسّس للقيم التي تؤكد على حقوق الإنسان عامة، وحقوق المرأة والطفل خاصة.

أطلقت مجلة «سيدة سوريا» بدعم من الحكومة الكندية، حملتها «طفلة لا زوجة»، لمواجهة مخاطر هذه الظاهرة، عبر جملة فعاليات ونشاطات، شملت كل المناطق المحررة، بما فيها مخيمات النازحين شمالي سوريا، والمناطق المحاصرة في غوطة دمشق، وحي الوعر المحاصر في حمص، كذلك المناطق المحررة في درعا وحلب، وريف اللاذقية والحسكة، كما تشمل مخيمات اللاجئين السوريين في تركيا ولبنان والأردن، حيث يتم توزيع أربعين ألف مطوية، وحوالي عشرة الاف نسخة من مجلة سيدة سوريا، تشتمل على ملف صحفي موسع، يتناول موضوع «تزويج القاصرات» من كافة الجهات، وتقوم مجموعة من الفضائيات والإذاعات والصحف، بتغطية نشاطات الحملة ونشر رسالتها.

بهذا الإطار، استضافت مجلة «ضوضاء» في إطار فعاليات منتدى المعرفة وحرية التعبير، بمدينة غازي عنتاب التركية بالاشتراك مع مجلة «سيدة سوريا»، كلٌّ من وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة «سماح هدايا»، والمدونة والناشطة اليمنية «هند نصيري»، وأستاذ القانون والشريعة في دولة الإمارات «محمد حبش»، والمعالجة النفسية اللبنانية «آيا مهنا». للحديث عن التحديات والصعوبات التي تواجه المجتمع السوري، فيما يتعلق بتزويج القاصرات، في ظل الحرب، وغياب أفق قانوني واضح وملزم، يحدّ من انتشارها.

تبدأ وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة، سماح هدايا، مداخلتها بالإشارة إلى خطورة ملف تزويج القاصرات، قائلة: «من غير المتوقع إطلاقاً أن نجتمع للحديث عن خيبة المرأة، عن بؤسها ومأساتها وألمها، وقصص لا تنتهي من الوجع السوري، ولكن علينا الحديث بشيء يليق بهذا الألم، وأقصد به الأمل، فلولا الأمل لا يمكن أن نسير خطوة واحدة باتجاه بناء المستقبل، رغم أننا نسمع قصص كثيرة عن مأساة المرأة ومأساة القاصر، ولكن يجب أن ندرك أن هذا جزء من صورة كبيرة، وليست مجرد حدث عابر، هي صورة الحرب وصورة المأساة».

مشيرة إلى نقطة هامة في معرض الحديث عن مسألة تزويج القاصرات وهي «الخطاب الطوباي»، فتقول «هدايا»، «هذا الخطاب هو خطاب من عالم آخر، في تعامله مع مأساة المرأة، ويروّج كأن المرأة السورية كانت تعيش في نعيم، وكأنها لم تكن تعاني القهر من القانون ومن المجتمع والعادات والتقاليد. المرأة السورية لم تكن في وضع مريح، حتى نلقي اللوم على الثورة، وندّعي أنها وراء هذا الألم وهذه الفاجعة. فهذا غير دقيق، لذلك يجب أن نكون واقعيين ومنطقيين جداً في توصيفنا حين نتعامل مع موضوع المرأة ككل، وكجزء من حالة استبدادية وحالة متخلفة كانت تلف المجتمع العربي عامة والسوري خاصة، والذي انطلقت منه الثورة، فالأخيرة لم تخرج لإسقاط نظام بشار الأسد فقط، بل خرجت لإسقاط نظام كامل متعفن قاهر ومستبد، أحكم على عقولنا وقلوبنا، لذلك يجب أن نبدأ بخطاب واقعي، حين نتعامل مع مسألة القاصرات».

ودعت «الوزيرة» إلى «الانطلاق من الفكرة التي أزّمت موضوع القاصرات، وجعلته من المواضيع الخطيرة والظواهر الكبيرة، خاصة في المناطق السورية التي تعاني من الحاجة والحرمان والقهر»، متابعة «الفكرة تكمن في الحرب، لو عدنا إلى قراءة الحرب في أي تاريخ بشري، لفتحت أمامنا المآسي الكبرى. فالحرب تولد الوحشية والإرهاب، وتكسر الإنسان من الداخل ،تنزع عنه إنسانيته، بالتالي هي المأساة الكبيرة التي لفّت الواقع السوري والمرأة السورية، وهنا لابد من التعامل بشكل جدي مع مسألة أخرى، لأنها تعطي خلفية لكل ظروف المرأة وسلوك المجتمع التي تحيا ضمنه، وهي حالة الإذلال، التي تقوم على

خاص ضوضاء/ منتدى المعرفة وحرية التعبير

خاص ضوضاء / منتدى المعرفة وحرية التعبير

خاص ضوضاء / منتدى المعرفة وحرية التعبير

خاص ضوضاء / منتدى المعرفة وحرية التعبير

استغلال حاجة المرأة للمال وإعالة أسرتها ، وحاجتها لأن تحيا بدون خوف ، فالإذلال شيء مريع ، ويجب عدم عزله عن الحالة الاجتماعية».

وذهبت «هدايا» إلى أن «الأسرة التي تشكل النواة الأساسية للمجتمع ، حين تتحطم جراء الحرب ، يتحطم المجتمع ، فالأم هي وجدان وقوة الأسرة. ومن المؤكد وجود امرأة قوية في المجتمع السوري الحالي ، ولكن هناك أيضاً أسرة قاصر ، عندما تكون الأم في هذه الأسرة قاصراً ، حين تكون طفلة بحاجة إلى رعاية ، تجد نفسها في موضع المسؤولية. لذلك ستكون هذه الأسرة قاصراً ، لأن الأم هي الجذر العميق للحياة ، وحين تكون مكبلة وطفلة ، لن تتمكن من الإيفاء بالواجبات المنوطة بها».

وترى وزيرة الثقافة في الحكومة المؤقتة أن «الأسرة السورية تتعرض الآن لمحنة كبيرة ، تفكك أسري ، وضياع هوية ، وتشرد ولجوء ، كل هذه الأمور تؤدي بالمرأة لدفع الثمن الكبير والباهظ في هذه الحرب. بالتالي ، من يدفع بالمقابل مع الأسرة ؟ ، الطفولة هي التي تدفع ، فالأطفال يتحولون إلى رجال ونساء مشوهين ومشوهات. فهل نكتفي بالنظر ولوم الثورة ؟ ما هي الحلول التي يمكن اللجوء إليها لحماية الأسرة والطفل والمرأة ، ووقف موضوع تزويج القاصرات ، والأخطر من ذلك ، الاتجار بتزويج القاصرات ؟. كيف نوقف هذا الوضع ونتعامل مع هذه القضية ؟ ، يجب أن نعود إلى أصول المشكلة ، فهل تزويج القاصرات حالة طارئة في المجتمع السوري ؟.

بالطبع لا ، هي حالة موروثة دينياً ، وهناك فرق كبير جداً بين الدين وموروثه ، الموضوع أكبر من أن نقول أن الثورة هي التي أصابتنا بهذه الأمراض. فالتخلف وعصر الاستبداد وغياب التطوير الفقهي والقانوني والتشريعي والتعليمي والوعي ، أوصلنا إلى هذه المرحلة».

إذن ، «تزويج القاصرات ليس شيئاً جديداً ، وهي ليست حالة طارئة ، لذلك يجب أن نتعامل مع هذه القضية من هذه النقطة ، ولذلك يجب أن نعود إلى موضوع التثقيف والتربية والتوعية. لأنه من المحتم ، لن تستيطع أم قاصر تربية ابن ، يكون في المستقبل رجلاً ناضجاً واعياً متزناً».

كما تشير هدايا إلى وجود عوامل أخرى ، تغذي هذه الظاهرة ، منها: «عوامل اقتصادية وثقافية وعوامل متعلقة بالوضع التعليمي في سوريا ، وللأسف فقد عانت البلاد خلال عقود ، من تراجع حقيقي في موضوع التعليم والتثقيف والتربية. وعلى الرغم من وجود نخبة ثقافية واضحة ، إلا أن هناك طبقات واسعة من المجتمع السوري أميّة بالمعنى الثقافي والمعرفي. وهذا الوضع يجعل من المرأة هدفاً سهلاً للاستغلال.

الدكتور جلال نوفل عقب على حديث وزيرة الثقافة في الحكومة المؤقتة بالقول: «إن موضوع تزويج القاصرات لا يتعلق بمسألة حقوق المرأة ، بل هو في العمق ، متعلق بسوء استغلال الأطفال. وحماية الأطفال وفقاً للمعايير الدولية التي هي مسؤولية الدولة ، ولأننا كسوريين نملك شكلاً من أشكال الإدارة الاجتماعية والمتمثلة بالحكومة المؤقتة ، فلابد من اتخاذ خطوة قانونية باتجاه حماية الفتيات ومنع تزويج القاصرات واستغلالهم».

بدورها قالت الناشطة والمدونة ومسؤولة حملة «أنقذوا وردة» للحد من تزويج القاصرات في اليمن «هند نصيري» ، إن «تزويج القاصرات في اليمن هو مشكلة تكمن في الموروث والأعراف والتقاليد السائدة ، التي فرضت ثقافة مجحفة بحق الفتاة». مشيرة إلى أن «انخفاض مستوى الوعي المجتمعي ، يؤثر بشكل مباشر على حياة الفتاة ومشاركتها في الحياة العامة ، وهي عامل رئيسي لطمس هوية المرأة في المجتمع».

تتابع «نصيري» أن «الزواج المبكر يؤثر نفسياً على الفتاة بانتقالها إلى حياة مختلفة مع رجل يكبرها بعقود ، ومواجهتها الحياة الجنسية في ظل عدم نضوجها ، وعدم معرفتها بهذه العلاقة ، ما يجعلها عرضة للكثير من الأضرار بسبب ممارسة الجنس المبكر ، الذي قد يؤدي إلى إصابات بالغة في الجهاز التناسلي ، إضافة إلى مخاطر مرحلة الحمل والإنجاب ، إذ يكون جسد الطفلة غير مهيأ لذلك».

وتضيف المدونة اليمنية أن «علاقة عدم التكافؤ داخل الأسرة ، كونها امرأة مقابل رجل ، في مجتمع ذكوري ينظر إلى المرأة على أنها عورة ، وإنسان

تحقيق

خاص ضوضاء / منتدى المعرفة وحرية التعبير

خاص ضوضاء / منتدى المعرفة وحرية التعبير

ناقص ، بالإضافة إلى الحياة الاجتماعية التي تعيشها الطفلة المتزوجة ، تفرض عليها نمط حياة المرأة الناضجة ، والمسؤولة عن أسرة». لافتة إلى أن «تزويج القاصرات يؤثر على المجتمع عموماً ، لأن تربية الطفلة القاصر لأطفال سيؤدي إلى نشوء جيل يفتقد إلى الحياة الطبيعية ، كما يترتب على تزويج الطفلة توقفها عن الدراسة في المراحل الأساسية ، وهذا يعرقل العملية التعليمية للفتيات اللاتي يصبحن أمهات أميّات غير واعيات ، ما يؤدي بالتالي إلى نشوء جيل أمّي».

وأوضحت «نصيري» أن كل هذا كان وراء «حملة الإنقاذ «وردة ، زواج القاصرات» في 20 أغسطس / آب من العام 2013 ، للدفاع عن الحق في الحياة والحق في الكرامة الإنسانية ، أي الحق في حياة آمنة في مجتمع سليم يضمن الحقوق والحريات لكلا الجنسين». منوهة إلى أن «وردة تعني الفتاة الموجودة في مرمى العنف والتحريض والاغتصاب ، والتي مورس عليها عنف العادات والتقاليد والفهم المغلوط للدين الإسلامي. وتركز الحملة على كل فتيات اليمن لاستغلال طاقتهنّ عبر التعليم والمعرفة وتحريرهن جنباً إلى جنب مع الرجل المكبل هو الآخر بقيود لا حصر لها. وتهدف إلى الكشف عن أمراض تزويج القاصرات ودعم القضايا المتعلقة بحقوق النساء الأطفال ، من أجل إعادة التوازن للحراك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، عن طريق توعية المجتمع بمخاطر الزواج المبكر ، والضغط على السلطات لمراقبة تثبيت مقررات مؤتمر الحوار الوطني ، الذي حدد سن الزواج بال 18 لكلا الجنسين ، وحدد أيضاً السن الأدنى لزواج الفتيات بذات العمر ، إلى جانب فرض العقوبة على كل من يخالف ذلك في الدستور اليمني الجديد».

وتحدثت «نصيري» عن خروج مظاهرة نسائية حاشدة في العام 2010 ، للضغط على البرلمان من أجل إسقاط المادة المقترحة من قبل اتحاد نساء اليمن ، المتعلقة بتحديد سن الزواج ، حيث دعا بيان الاتحاد إلى تحريم كل مسلم أو جهة تنفيذية أو تشريعية تتبنى هذا التقنين ، وأي تقنين آخر يخالف الشريعة الإسلامية والسنة ، ويخالف إجماع الأمة» ، مشيرة إلى «ترؤس بعض النساء المتشددات ، على رأسهن بنات الشيخ الزنداني ، وهو من أكثر رجال الدين السلفيين تشدداً ، هجمات لرفض مخرجات مؤتمر الحوار الوطني ، حيث اشتد الهجوم على فريق الحقوق والحريات وخاصة فريق حقوق النساء خصوصاً ، وترفض هؤلاء النسوة المتشددات في إحدى بياناتهن (أي انتقاص أو تهوين لأحكام الشريعة الإسلامية واعتبارها المرجع الوحيد لتفسير أي مادة دستورية) ، كما اتهمن بعض الناشطات بتبني أفكار الحركة النسوية الغربية ، ونقلها إلى المتجمع اليمني ، وانحرافهنّ عن الشريعة وتصدرهنّ وسائل الإعلام ، والإدعاء بأن هذه المنظمات ممولة أجنبياً ، وذلك للترويج والضغط على صناع القرار لتمرير تلك الأفكار ، كما حذر بيان المتشددات على محاسبة كل من يتبنى أفكار مناهضة للدين ، ورفع دعاوى قضائية ضد كل من يحاول الترويج لأفكار مناهضة للإسلام ، ومحاولة تمريرها في الدستور ، ودعين أيضاً إلى هبة شعبية عارمة ضد الأفكار والمعتقدات المناهضة للدين».

واختتمت المسؤولة في حملة «انقذوا وردة» اليمنية ، حديثها بسرد بعض الإحصائيات قائلة: «وفقاً للتقارير الرسمية عن تزويج القاصرات في البلاد ، توجد ثماني حالات وفاة بسبب تزويج القاصرات والحمل المبكر والولادات ، وحسب تقرير أصدره المركز الدولي للدراسات عام 2014 ، احتلت اليمن بين عشرين دولة المرتبة الثالثة عشر ، صنفت على أنها أسوأ الدول في تزويج القاصرات ، فبلغت نسبة الفتيات اللاتي تزوجن تحت سن الـ 18 ، (48.4) % ، وفي حين أشارت تقارير منظمة هيومن رايتس ووتش استناداً إلى إحصائيات رسمية للأمم المتحدة إلى أن (14) % من اليمنيات يتزوجن قبل سن الـ 15 ، و(52) % قبل بلوغهن سنة الـ 18 ، وفي بعض المناطق تزوّج الفتيات بعمر الثامنة من رجال مسنين».

أما أستاذ الشريعة والقانون في جامعة الإمارات الدكتور محمد حبش ، فقال في بداية مداخلته «في مسألة تزويج القاصرات ، لا نجد نصوصاً صريحة تدعو إليه ، أو تنهى عنه ، وإن تزويج القاصرات في الفقه الإسلامي يصنّف في دائرة المسكوت عنه نصاً ، وهذه هي الدائرة الصحيحة للاجتهاد فيها ، ولهذا يملك ولي الأمر ، سواء كان البرلمان ، أو مجلس الشورى الإسلامي ، أو مجلس الشورى الوطني ، يملك تحديد السن المناسبة للزواج ، لأن

هذا الأمر مسكوت عنه نصاً ، ويأتي في باب الاجتهاد في غير مورد النص ، أي تملك الأمة الاجتهاد اعتماداً على أدوات الاجتهاد الصحيحة» ، مؤكداً أن «تحديد سن معينة للزواج مثار جدل كبير».

كما أشار « الدكتور حبش» ، إلى أن «القانون السوري ينص على أن سن الزواج بالنسبة للمرأة هو سبعة عشر ، واعتبر أن الزواج قبل ذلك مخالفاً للقانون ، ولكنه لم يفرض أية عقوبة على من يزوج ابنته قبل ذلك ، ولذلك ظل القانون السوري قانوناً تكليفياً ، ونحن الآن نتطلع إلى الاستفادة من أصول الفقه الإسلامي وما سبق إليه العلماء وأهل الخبرة ، لتشريع نصوص ملزمة تفرض على الأسر توفير فرص التعليم الأساسي للبنات قبل أن يتم تزوجيهن ، وأن تكون هناك مؤيدات جزائية على من يتقدم للزواج من فتاة قبل بلوغها الـ 18 ، وهذا وفق أصول الفقه الإسلامي متاح تماماً لولي الأمر ، ولا يوجد أي نص شرعي يحول دون هذا اللون من الاجتهاد».

وشدد « الدكتور حبش» على أن «الفقه الإسلامي ، قادر ومطالب بأن يستخدم أدوات أصول الفقه العميقة التي نص عليها الفقهاء ، وأن يقرر ما هو لائق بهذا العصر ، وهو منع الزواج بالقاصرات ، وأن الفقه يستطيع تشريّع ما يمنع زواج المرأة قبل سن الـ 18».

من جانبها ، تناولت الاختصاصية في علم النفس العيادي ، والمعالجة النفسية «آية مهنا» من لبنان ، في حديثها ، «التداعيات النفسية لزواج القاصرات ، وخطورة الحرمان من الطفولة والمراهقة على القاصر ، كذلك انعكاس تلك التداعيات على الأسرة» ، وقالت إن «أسباب تزويج القاصرات في سوريا تتمثل في حالة الفقر ، حيث تعتقد الأسرة أنها بتزويج الفتاة ، قد تتمكن من التخلص من الفقر. وهناك سبب آخر ، يتمثل بفكرة حماية الفتاة والحرص على شرفها ، ففي المجتمعات التي تعاني الحروب والنزاعات ، تدفع حالة الفوضى التي يعاني منها المجتمع ، الأسرة إلى تزويج الفتاة كإحدى الآليات التي تؤمن الحماية لها ، ومن الأسباب أيضاً ، تأمين حماية للأسرة وخاصة في مناطق تخضع لسيطرة ميليشيات وقوى مسلحة ، ما يدفع بعض الأسر إلى تزويج فتياتها لمقاتلي هذه القوى ، وتأمين حماية لكامل الأسرة. يضاف إلى كل ذلك ، عدم وجود قوانين ثابتة في حالات الحرب والنزاع تؤمن الحماية للفتاة القاصر».

خاص ضوضاء/ منتدى المعرفة وحرية التعبير

كما ذهبت مهنا إلى اعتبار «تزويج القاصرات انتهاكاً لحقوق الإنسان عامة ، والطفولة خاصة ، لأنه يؤدي إلى حرمان من الطفولة والمراهقة. الأمر الذي يحرم الطفل أيضاً من تطوره التعليمي والفكري والثقافي ، كما يعتبر تزويج القاصرات نوعاً من انتهاك الحريات ، ويؤدي إلى الحرمان من التطور الذاتي ، كما يؤدي إلى اضطرابات نفسية وعاطفية ، إضافة إلى أمراض قد تصيب الطفلة جراء الحمل أو الولادة ، أو من جهة عدم نضج أعضائها التناسلية ، لأنها لم تستكمل نموها بعد».

واختتمت «مهنا» حديثها بعرض بعض التأثيرات النفسية لتزويج القاصرات على الفتاة ، والتي تتمثل في «الاكتئاب ، ومن أعراضه الحزن الشديد ، وعدم التقبل ، والتعاسة ، والاحباط ، والعدائية ، والعصبية ، ورغبة في البكاء ، وعدم الرغبة بالقيام بأي نشاط ، إضافة إلى اضطرابات في النوم ومشاكل في التغذية ، مترافقة مع إحساس بالذنب ، وقلة الثقة بالنفس ، وتعب وإرهاق جسدي ومشاكل في التركيز باتخاذ القرارات ، إلى جانب أفكار سوداوية متعلقة بالموت».

وفي سياق المنتدى داخل العديد من الحضور حول الموضوع ،باحثين في الأسباب والحلول ،طارحين العديد من الاسئلة حول دور جهات المعارضة الرسمية حكومة وائتلافاً ، والجهد الذي يجب عليها تقديمه لمحاربة العديد من الظواهر التي تنخر بنية المجتمع السوري.

خاص ضوضاء/ منتدى المعرفة وحرية التعبير

رأي

أوهام المراهنة على دور مصري روسي في حلّ المسألة السورية

جبر الشوفي

بداية يعلم الجميع ، أنه لا يمكن لأيّ بلد أن ينجح ، في إيجاد حل واقعي لمسألة لها من الأهمية والخطورة ما للأزمة السورية ، بسبب تشعب رؤوسها وتشابك أصولها وفروعها ، وبكونها نقطة المركز لتجاذبات مصالح ، عربية وإقليمية ودولية في آن واحد ، ولكون من يدعون ، أنهم أهلها ، أبعد من أن يكونوا حماتها ، وزيادة في سخرية أقدارنا ، أن هذه الأطراف العاجزة ذاتها ، هي المنتدبة إلى التوافق وتوحيد إرادتها للوصول إلى حلّ استثنائي ، في ظروف استثنائية ، ولاعبين أكثر استثنائية ، لأنهم في طرف منهم ، لا خبرة عندهم ، ولا دراية ولا إرادة ، ومع ذلك يصرّون أن يلعبوا دور أم العروس ، حتى وإن كان ما يجري مجرد تنويم مغناطيسي لها ، لفرض الأمر الواقع عليها ، وتزويجها لمغتصبها.

وإذا كنا لم نر حتى اليوم اتفاقاً ، على حلول حاسمة للأزمة السورية ، فذلك لأن أوراقها موزعة بما يشبه التوازن ، بين لاعبيها الرئيسيين ، فإيران القابضة على عنق نظام دمشق ، تمتلك القرار السياسي ، مدعماً بقوى شيطانية مقاتلة أمنت له الحماية وأمدته بقوة الاستمرار ، وساعدته بتيسير حاجاته المالية والعينية ، التي حالت حتى الآن دون إعلان إفلاسه ، رغم ما أصابه من إنهاك وخور.

روسيا التي بنت دبلوماسيتها ، على مقولة ، إن السوريين هم من يحددون مستقبل الأسد والنظام ، وبنت استراتيجيتها تباعاً على محاربة الإرهاب كأولوية ، تتطلب تجميع المعارضة تحت مظلة النظام ، ولازالت تمتلك قرار التعطيل في مجلس الأمن ، بعد أن عطلته أربع مرات ، كما تمتلك الفضاء السوري ، الذي استخدم كل أدوات التدمير والقتل ، محققاً للنظام تفريغ الحواضن الشعبية للثورة من سكانها ، بينما تمتلك الإدارة الأمريكية الكلمة الأخيرة الحاسمة ، إذ لا يمر قرار ولا تسوية إلا بموافقتها أو تغاضيها.

تركيا باعتبارها تشكل العمق الاستراتيجي والجغرافي ، للساحة السورية ، وتتحمل عبء أكثر من مليون ونصف لاجئ سوري ، وتملك يداً طولى في تحريك قوى مسلحة ، وتأمين سلاحها وحماية ظهرها ، وهي معنية بكل الترتيبات والتسويات ، تحاول أن تفرض رؤيتها ، بما يتناسب مع خوفها ، من قيام دولة كردية على حدودها ، أخذت تترسم إمكانات وجودها على الأرض السورية. ولكنها رغم ذلك ، تبدو مستثناة من اللعبة السياسية الدولية المتقاطعة ، ويكاد يقتصر دورها الدبلوماسي ، على تلقي الرسائل والردّ عليها ، فلا الأمريكان المتجهين إلى صفقة مع إيران ، ولا الروس مصدر قوة عدوها وبقائه ، قدما لها ما يطمئنها ، فظلت على قلقها وحيدة ، تلعب بطريقتها للضغط على الطرفين للقبول بالمنطقة الآمنة ، وتوكيلها بحمايتها!

في هذه الساحة الفارغة المتروكة ، ليلعب فيها كل فريق على طريقته ، ووفقاً لمصالحه ، دون أن يتصادم أو يتقاطع مع الآخر ، دخلت الأزمة السورية مجدداً في حالة التجاذب المتوازن سلباً ، أو في منطقة انعدام الجاذبية ، دون أن يمتلك أحد الأطراف إمكانية الاستفراد بها ، أو دفعها إلى منطقة الفاعلية ، في ظل تجاهل قوات التحالف ، لأرض الصراع الدامي ، بين براميل النظام السوري ، وضحاياه العزل من النساء والأطفال والممتلكات.

يندفع «الروس» هنا بحماوة الرأس ، ليلعبوا الورقة ما قبل الأخيرة ، متوهمين أن تجميع أوراق المعارضة والنظام في يدهم ، يتيح لهم تشتيت الهياكل السياسية الشكلية القائمة ، وإسقاطها ابتداءً من الائتلاف ، الذي لم يعد يملك سوى

رأي

الرفض وعرقلة كل حلّ ، ما لم يبنَ على جنيف1، وسيلة وحيدة للحفاظ على صوته وإثبات أنه ما زال حياً ، وكل ترتيب يجب أن يمرر من خلاله ولو شكلاً ، أما من استساغوا اسم معارضة (الداخل) ليتقاووا بها أمام فراغ أيديهم ، من أي قبول جماهيري خارج جماعتهم ، وترنموا بهذه التسمية ، واستعاضوا بها عن أن يتخذوا مواقف جادة ومسؤولة ، تبتعد عن تجريم سلاح الثورة ومساواته مع سلاح النظام ، وإلقاء المسؤولية على الطرفين بالتساوي ، مقصية نفسها إلى جهة باهتة ، لم تفلح بكل مراهناتها وتذبذبها ، أن تقنع أهل الثورة ، عسكريين أو مدنيين ، أو شباب حراك. وزاد في فراغ يدهم من شارعهم ، تبنيهم الكامل للجان الحماية الشعبية الكردية ، واعتبار مقاومتها مقاومة وطنية ، وتأييدها تدخل التحالف الدولي لصالحها ، وهي التي استبسلت ليس فقط ، في الهجوم على نية الولايات المتحدة التدخل ، لضرب الأسد الكيمياوي ، بل لكل تدخل دولي بما فيه التدخل لحماية المدنيين.

هناك أيضاً دول أقنعت القاهرة ، بدور تمهيدي ضروري للقاء موسكو ، يمر عبر تجميع المعارضة ، المرضى عنها من السلطات المصرية ، وبما يتوافق مع رغبات هيئة التنسيق ، التي لا زالت تراهن على دور مصري ، ضمن وهمين متكاملين ، وهمٌ بأن مصر ما زالت ثقلاً عربياً وإقليمياً ، ووهم بأن الفرصة سانحة لهم لكي يعودوا إلى واجهة القوى المعارضة اللاعبة والمؤثرة ، أو المفوضة من الداخل بالحوار باسمهم.

نهاية بؤس معارضة (الداخل) إعلانها ترك الحرية للمدعوين منها ، أن يشاركوا في لقاء موسكو أو أن يقاطعوه ، ما يشير إلى ابتذال وديمقراطية رثة ، وهاهم يعودون فارغي اليدين ، بعد فشل ذريع ، في تحقيق ولو مطالب إنسانية جزئية ، إغاثية ، حياتية ، أو معنوية كإطلاق سراح المعتقلين ، كما صرح الفنان جمال سليمان ، بعدما اصطدم رأسه بجدار الرفض الرسمي السلطوي.

ولا يعتد بما حاولت الشعبوية المبتذلة للسيدة «رندة قسيس» ، تحويل قضية بخطورة المسالة الوطنية السورية ، إلى مطالب جزئية لا تتعلق من قريب أو بعيد بمطالب الثورة ، في حوارها الملتبس مع نظام مجرم ، صحيح أنّ أحداً من السوريين ، لم يكن يتوقع من معارضة(الكفيار الروسي) ، أن تقدم أي نجاح ولو جزئياً في مسألة سياسية كبرى. كما كان الجميع مقتنعين ، أن الروس بالتنسيق مع «الجعفري» ، رئيس وفد النظام ، الذي قال باستكبار واستصغار لشأن محاوريه ، «من لا يعجبه يخرج خارجاً».

أي نجاح إذاً ، حققه جماعة (الكفيار) الروسي في حوارهم ، وبماذا عادوا في حقائبهم ؟

هذا ما لم يثر اهتمام الشعب السوري ، الذي لم ير من الروس سوى براميلهم ، وصواريخهم ، وتعطيلهم لكل مبادرة في مجلس الأمن. حتى المطالب الإنسانية لصالح الشعب الذي تتغنى باسمه رندا قسيس ، بعد أن فرغت من اهتماماتها الكبرى ، سواء في قضية العذرية أو في غيرها !

وأي احترام لورقة مطالب ، تقدم بها المحاورون الأفذاذ ، على حين لا يتعدى أمرها ، أن يمسح بها أحد خدم رؤوساء الأجهزة الأمنية السورية حذاء معلمه ؟

العاصفة الثلجية في الغوطة الشرقية 2015/1

ساعات الليل

الحضور الجليل للعتمة انتشل نجاة من شرودها ، قفزت نحو المطبخ ، ارتمت بسرعة على مفتاح الغاز ، شدّته بإحكام ، ثم رفعت طرف ثوبها الصيفيّ ، جمعته بعبث في كفّها ، أمسكت غطاء القدر على عجل ، رمته على الأرض ، قرفصت تتأكد من أن الحريق لم يبتلع كلَّ حبَّات البطاطا الصغيرة التي أعدَّتها لمأدبة الليل. عاتبت الله عاتبت الغروب ، عاتبت سمير الذي يشغلها عن نفسها وعن غدها... وحتى عن طبيخها.

أنقذت ما أمكن إنقاذه ، قلبته في صحن جديد ، تفقَّدته ، انتقت منه الحبَّات السوداء ، فبدت كمية الطعام قليلة جدا.

انتابتها الحيرة ، أجفلت مع الدقات الرهيبة التي أعلنتها ساعة الحائط ، عبرها الأسى ،فأسندت ظهرها إلى الحائط ، واستسلمت ليأسٍ ملأ المكان.

اعتادت أن تحضِّر له الأطباق التي يحبها.. بطاطا مع الكزبرة... معكرونة بالجبنة... بيض عربي مع الدّهن.. ، سلطة خس... سلطة ملفوف ، منذ أن توقفت عن العمل في العطلة أصبحت تبدِّد وقتها في المطبخ والبيت ، ترتِّب أمر لقائهما ، تعيد ترتيب الغرفة خلال انتظاره ، تحضِّر على الطاولة المتآكلة كوب الشمع ، تتأمل اللوحة العشوائية التي خطَّتها الشموع القديمة على جدار الكوب بعبث ، تنضّد الكتب والأوراق والأقلام وقصّاصة الأظافر وخرّازة الورق ، تنتقي الأشرطة التي اعتادا أن يسمعاها معاً ، ترتِّبها بعناية فوق آلة التسجيل ، تمسح الغبار عن النافذة وأصص الورد والحبق ، تنبش الخزانة الصغيرة ، تلقي بملابسها على الأرض ، تنتقي ثوباً منها ، تتفحصه بعناية ،ثم تعلقه على مسمار الحائط ، وتلمُّ الباقي بسرعة وترميه في مكانه ، عند الظهيرة تتعرَّى.. تتمدَّد في فراشها مستسلمةً لخيالاتها الماكرة ، تترك الجسد الأربعيني نهباً للحرِّ ، تغمِّسه لحبيبها بالعرق المالح الذي يحبه ، وتغط في النوم بانتظار المساء والغروب والليل.

فكرت أنه من الممكن تحضير طبق جديد ، لا تزال تملك ثلاث حبّات من البطاطا ، ونصف حزمة من الكزبرة ،تفحَّصت قنينة الزيت فكرت أنَّ ما فيها يكفي لإتمام الطبق ، ولسوف يعذرها إن جاء قبل أن ينضج العشاء الجديد ، فكل شيء جاهز تقريبا» ، سلطة الخس... قطع الثلج... زجاجة العرق.... ثوبها..... ورائحة جسدها. وسنيّها الخمس التي قضتها في انتظاره.

2006

تبدو ثقيلةً جداً

حتى تلك اللحظة ، لم يكن في حسبانه أن ذلك سيحدث ، هبا الصغيرة.. لحقت به بخطواتها المتعثرة وعند الباب... أطلقت أمنيتها المدببة:

_ بابا..... حمليني على زهلك شوي.

تحت درج المصرف سفح حزمة من عمره ، في مطبخه الصغير. يحمل صواني القهوة ويحملها معاً ، صاعداً تراه.. تحت إبطه كومة من ورق ، وفي يده الشاي ، ذقنه مضمومة إلى رقبته على مغلف ، وهي هناك.....في مكانها المعتاد ، خفيفة ، مرئية... وهاجعة.

يتهامس المراجعون فيلتقط اندهاشهم ، يلملمه بتحية هادئة وابتسامة ناعمة... ومن بين أسنانه المشغولة بورقة ما ، أو مغلف ما يقول

_ راجع.. راجع.. دقيقة بس.

فلا يطو ل انتظارهم ، بخفة ينزلق على الدرجات الرخامية للمصرف ملتصقاً أحياناً بالحائط مفسحاً في المكان للمراجعين :

_ هلا أستاذ وائل.. يلّا لاحقك بالقهوة.

_ صباح الفل دكتور.... شاي مش هيك ؟؟

يبتدئ الصباح فتنتصب هناك..... ومثله توزع التحيَّات ، ليست منه ، ومنه ، ثقيلة ، وخفيفة كنسمة ، حكى عنها للكثيرين ، وخبَّأها مرّاتٍ عديدة ، ولكنها دائماً كانت هناك ، زائدة ، وسرمدية ، وهو كان قد اعتادها تماماً.

ظلَّ يقرأ الأسئلة على شفاه الجميع حين يصادفهم ، حتى اعتاد الأسئلة ، يقرأ دهشتهم ، حتى اعتاد الدهشة ،وظلت مكانها كالظل ، لا تراه ويتبعك ، لكنها اليوم حين هم بالانصراف... بدت على غير عادتها.... ثقيلة جداً..... ومكشوفة جداً ، تلك الحدبة.

2008